روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جداً !!

د. نبيل فاروق

أنياب

142



طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ نصف وحش ..

ارتسم كل توتر الدنيا ، على وجه الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، وهو يندفع إلى حجرة القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ، هاتفًا :

ـ كارثة أيها القائد الأعلى .. كارثة !

هبَّ القائد الأعلى من مقعده ، متسائلاً :

ـ ماذا حدث ؟!

لوَّح الدكتور (جلال) بورقة فى يده ، قائلاً فى انفعال :

ـ (نشوى) ابنة (نور) ، أرسلت نداء استغاثة ، من معسكر البحث ، أمام ذلك المنجم المهجور ، فى (جبل الطور) .

تراجع القائد الأعلى ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يتساءل :

ـ رباه ! هل سقط (نور) وفريقه أيضًا ؟!

هزّ الدكتور (جلال) رأسه فى قوة ، مجيبًا :

ـ لست أدرى .. كل ما حدث هو أن (نشوى) قد أرسلت نداء استغاثة عاجلة ، ثم لم يعد باستطاعتنا بعدها الاتصال بأى عضو ، من أعضاء فريق (نور) .

عاد القائد الأعلى إلى مقعده فى بطء ، وهو يتمتم :

ـ يا إلهى ! يا إلهى ! ستكون كارثة بحق ، لو فقدنا (نور) وفريقه العلمى الخاص ..

نطقها ، وعقله يستعيد تلك الأحداث منذ البداية ..

البداية القريبة ..

جدًا ..

فمع وصول البعثة الجيولوجية (ت ـ ١٧) إلى المنجم القديم ، لحساب إحدى شركات التعدين الكبرى ، لبحث ما إذا كان من الممكن إعادة فتح المنجم أم لا ، حدث ذلك الأمر الغامض الرهيب ..

شىء ما هاجم أفراد البعثة ، وقضى عليهم بلا هوادة ، واستولى على كل ما حملوه معهم ، من أجهزة تكنولوجية حديثة ..

شىء رهيب ..

غامض ..

ووحشى ..

ولأن الأمر كله كان خطيرًا ، إلى أقصى حد ممكن ، فقد تم إرسال (نور) وفريقه إلى منطقة المنجم المهجور ، فى محاولة لكشف السر ..

الفريق ، باستثناء شخص واحد ..

(أكرم) ..

(أكرم) الذى أرسلته عملية تطوّعية انتحارية ، إلى خارج عالمنا المعروف ..

إلى أعمق أعماق نهر الزمن ..

وبحيرة التاريخ(*) ..

وفى الوقت الذى كان جسده يندفع فيه ، عبر نهر الزمن ، بسرعة خرافية رهيبة ، نحو عاصفة زمنية

(*) راجع قصة (قراصنة الزمن) .. المغامرة رقم ١٤٠

عاتية ، كفيلة بسحقه سحقًا ، كان (نور) وفريقه يواجهون لغزًا غامضًا مخيفًا ، عند المنجم المهجور ..

لغز الثعابين ..

ثعابين الإنس ..

ونوع نادر ، رهيب ، هائل من الثعابين ..

نوع ابتكرته ، وزرعته فى أرضنا ، عقول حقيرة شريرة ، لا هدف لها ، منذ تطفلت على أوطاننا ، سوى القضاء علينا جميعًا ، ومد سيطرتها على كافة حدودنا بلا استثناء ..

وعلى الرغم من الأحداث العنيفة والمخيفة ، والأمور الكفيلة بتحطيم شجاعة أعتى الرجال ، واصل (نور) وفريقه مواجهة الخطر ..

بكل الحزم ..

والعزم ..

والقوة ..

والإصرار ..

وهناك ، فى قلب نهر الزمن ، الذى ينساب بلا توقُّف ، كاد (أكرم) يهوى فى عاصفته العاتية ، لولا أن أمسكت بمعصمه أصابع قوية ..

أصابع (محمود) ..

(محمود) ، عضو الفريق السابق ، الذى كان أول من فقدوه ، فى مجرى الزمن الثائر(*) ..

ومع هذا اللقاء المذهل والمستحيل ، تغيَّرت أمور عديدة ، والتقى بطلان ، لم يلتقيا منذ زمن طويل ..

أما (نور) و(رمزى) ، فقد هبطا معًا إلى أعمق أعماق بئر المنجم ، حيث وجدا معملاً قديمًا ، لإنتاج عينات وراثية ثعبانية ، ينتهى بباب معدنى كبير ، لا أحد يعلم إلى أين يقود ..

وكانت هناك هياكل عظمية لنصف ثعبان ، ونصف إنسان ، و ....

وفجأة ، هاجمهما ذلك الشىء ..

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم ١٠٠

أصبحا معه فى تلك القاعة ..

وحدهما ..

وبعد قتال عنيف ، ومحاولة فاشلة لبث السم فى جسديهما ، وسط ظلام المكان ، أضاء (نور) مصباحه فى وجه ذلك الشىء ..

وكانت مفاجأة مذهلة ..

ومخيفة ..

إلى أقصى حد ..

فما رآه هو و(رمزى) أمامهما ، فى تلك القاعة ، وما يواجهانه وجهًا لوجه ، لم يكن مجرد ثعبان ضخم ، كما قدّر من قبلهما ..

لقد كان شيئًا آخر ..

شيئًا أثار الرعب فى أعماقهما حتى النخاع ..

كل الرعب(*) ..

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول .. (الثعابين) .. المغامرة رقم ١٤١

* * *

« .. هل تعتقدين أنهم سيرسلون النجدة بسرعة ؟! »

ألقت (سلوى) السؤال ، بكل عصبية الدنيا ، وهى تحاول جاهدة رفع درجة حساسية أجهزتها اللاقطة ؛ لاستعادة اتصالها مع (نور) و(رمزى) بأى ثمن ، فهزت (نشوى) رأسها فى قوة ، قائلة :

ـ هذا ما ينبغى أن يفعلوه .. لقد أطلقنا إشارة للاستغاثة الكبرى ، والمفترض ، وفقًا للقواعد الأمنية المعمول بها ، أن يتم إرسال قوة النجدة فور إطلاقها .

حاولت التعامل مع أجهزتها مرة أخرى ، وهى تغمغم :

ـ أتمنى هذا .

قالتها ، ثم تراجعت ، هاتفة فى غضب عصبى :

ـ ماذا أصاب هذه الأجهزة ؟! لقد أصبحت عاجزة عن إرسال أو استقبال أى شىء بغتة ..

رفعت (نشوى) عينيها ، فى توتر بالغ ، وهى تتلفت حولها ، قائلة فى عصبية :

- هناك أجهزة اتصال أخرى ، تعمل للشوشرة على أجهزتنا .

هتفت (سلوى) فى مرارة :

- ومن أين أتت تلك الأجهزة الأخرى ؟!

صمتت (نشوى) لحظة ، ثم قالت فى حزم :

- الأجهزة المفقودة ، من البعثة الجيولوجية (ت - ١٧) .

وتوقف بصرها عند تلك الفجوة ، التى ألقيت منها جثث الضحايا ، وهى تضيف فى صرامة عصبية :

- لقد وضعها هنا ..

رددت (سلوى) ، وهى تحدق فى الفجوة بدورها :

- وضعها ؟! هنا .

ثم أدارت عينيها إلى ابنتها بحركة حادة ، مستطردة ، بكل العصبية والانفعال :

- (نشوى) .. إننا نتحدث عن نوع من الثعابين ، مهما بلغت ضخامته أو شراسته ، ولا نتحدث عن خصم عاقل .

هتفت (نشوى) :

- ليس عاقلاً .

ثم انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تلتقط أحد أجهزتها ، مضيفة :

- بل ذكى وخبيث أيضًا .

كررت (سلوى) بدهشة مستنكرة :

- ذكى وخبيث ؟!

أجابتها (نشوى) فى حزم ، وهى تتجه نحو الفجوة مباشرة :

- نعم .. كالثعابين .

رقدت على بطنها على الرمال ، عند حافة الفجوة ، وضغطت أزرار جهازها ، قبل أن تجذب منه سلكًا رفيعًا ، وتغرسه فى الأرض ، قائلة :

- من الواضح أن الغرض الرئيسى هو الشوشرة على الاتصالات فحسب ، بدليل أن الأجهزة كلها تعمل بكفاءة ، فيما عدا أجهزة الاتصال العامة والمحدودة .

نهضت (سلوى)، واتجهت إليها، قائلة فى حذر (متوتر):

- ماذا تفعلين ؟!

عادت (نشوى) تضغط أزرار جهازها، مجيبة:

- أتأكدُ من صحة نظريتى.

ظلّ جهازها صامتاً بضع لحظات، ثم لم يلبث أن أطلق أزيزًا متقطّعًا عاليًا، ارتفع معه حاجبا (سلوى) فى دهشة، فى حين هتفت (نشوى):

- لقد كنت على حق.

وقفزت واقفة على قدميها، وهى تضيف فى انفعال:

- تلك الأشياء المدفونة هنا، هى التى تمنعنا من الاتصال بأبى و(رمزى)، ومن بث ما لدينا إلى (القاهرة).

اتسعت عينا (سلوى) أكثر، وتراجعت بحركة غريزية، قائلة:

- يا إلهى! أى شىء ذلك، الذى يواجهه (نور) و(رمزى) هناك، فى أعماق ذلك المنجم ؟!

أجابتها (نشوى) فى سرعة، وهى تسرع إلى حقيبتها، وتلتقط منها كرة صغيرة من معدن لامع:

- ليس مجرَّد ثعبان بالتأكيد.

راقبتها (سلوى)، وهى تعود إلى الفجوة، وتلقى الكرة فى أعماقها، وهى تقول فى عصبية بالغة:

- أى شىء هو إذن ؟!

أجابتها (نشوى)، وهى تضغط أزرار جهازها فى سرعة وحزم:

- شىء ذكى، شرير، وغير بشرى.

ثم تراجعت فى سرعة، هاتفة بأمها:

فلنبتعد.

تراجعت معها (سلوى) فى سرعة، وهى تسألها:

- ماذا وضعت فى تلك الفجوة ؟!

أجابتها فى حزم :

- قنبلة .

توقفت (سلوى) ، هاتفة فى ذعر مستنكر :

- ماذا ؟!

ومع آخر حروف كلماتها ، دوى الانفجار ..

انفجار محدود مكتوم ، دوى فى قاع الفجوة وتصاعدت معه سحابة من الدخان ، قبل أن يتلاشى كل هذا دفعة واحدة ، فعادت (سلوى) تهتف :

- قنبلة يا (نشوى) .

أجابتها (نشوى) فى حزم ، وهى تندفع نحو أجهزة الاتصال والرصد :

- ليست قنبلة عادية يا أمى .. إنها قنبلة إليكترونية ، من طراز خاص جداً .. انفجارها سيتلف الوحدات الرئيسية ، لكل أجهزة الشوشرة ، المدفونة تحت المعسكر .

سألتها (سلوى) فى قلق شديد :

- وماذا عن أجهزتنا ؟!

أجابتها ، وهى تتعامل مع أزرار أجهزتها فى سرعة ولهفة :

- اطمئنى يا أمى .. إنها قنبلة محدودة .

وأدارت عينيها إليها ، مضيفة فى حزم :

- لقد اخترعتها بنفسى .

حدقت فيها (سلوى) بضع لحظات فى توتر ، قبل أن تتجه بدورها نحو أجهزتها ، قائلة :

- يا إلهى ! إننى أشعر بالزهو ؛ لأنك تفوقت علىّ ، فى هذا المضمار .

تمتمت (نشوى) وهى تضغط زراً أخيراً :

- هذا أمر طبيعى ؛ فأنا ابنتك .

مع تلك الضغطة الأخيرة ، تألقت شاشات الاتصال

والرصد كلها دفعة واحدة ، فهتفت (نشوى) فى حماسة :

- لقد نجحت .

توالت أصابع (سلوى) بدورها ، على أزرار أجهزتها ، وهى تهتف ، عبر جهاز الاتصال :

- (نور) .. هل تسمعنى ؟! هل تسمعنى يا (نور) ؟!

لم تتلق جوابًا من الجانب الآخر ، فارتجف جسدها كله مع صوتها ، وهى ترفع عينيها إلى (نشوى) ، قائلة :

- أأنت واثقة من حدوث الاتصال ؟!

أومأت (نشوى) برأسها إيجابًا ، وقالت فى حزم :

- نعم .. كل الأجهزة تؤكد هذا .

ثم ضغطت أزرار شاشة الرصد ، وهى تضيف :

- على كل ، يمكننا الاستعاضة عن الاتصال المباشر ، بما يمكن أن تنقله آلة التصوير .

مع ضغطاتها ، أضيئت شاشة رصد آلة التصوير ، وبدأت عملها ، و ....

وانبعث منها ذلك الفحيح ..

فحيح وحشى مخيف ، جعل قلبيهما يخفقان فى عنف ، ودفع (سلوى) إلى أن تثب من مكانها ، وتندفع نحو شاشة الرصد ، هاتفة :

- (نور) .. يا إلهى ! (نور) .

ومع نهاية هتافها ، نقلت عدسة آلة التصوير المتطورة مشهدًا ، لما يحدث داخل تلك القاعة ، فى أعماق البئر ..

وفى آن واحد ، وبانفعال جارف ، أطلقت (سلوى) و(نشوى) صرختى رعب هائلتين عنيفتين ..

فالمشهد الذى نقلته عدسة آلة التصوير ، كان بشعًا ..

إلى أقصى حد متصوَّر ..

* * *

تألقت عينا ذلك الضخم الأشيب ، فى جذل وحشى ، وهو يجلس على كرسى مكتبه الكبير ، ويتابع فى شغف أحد الأفلام التسجيلية العسكرية ، لواحدة من المذابح الدموية الرهيبة ، التى قام بها سلفه ، فى ذروة سلطته ، ثم لم يلبث أن التقط نفسًا منتشيًا عميقًا ، قبل أن يغمغم فى إعجاب :

- كنت عبقريًا رائعًا بحق يا عماه .. لست أدرى كيف يصفك التاريخ الآن بأنك مجرم حرب دموى عتيد !!

ثم مطّ شفتيه ، مضيفًا فى مقت :

- يا للأوغاد !

وأنهى العرض ، وهو يكمل فى حزم :

- ولكنهم سيدفعون الثمن .. كلهم سيدفعون الثمن .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز جهاز الاتصال المحدود على مكتبه ، وانبعث منه صوت الأصلع ، وهو يقول :

- سيّدى .. هل يمكننى أن أراك الآن ؟!

عقد الأشيب الضخم حاجبيه فى عصبية ، وهو يسأله :

- بشأن ماذا ؟!

أجابه الأصلع فى سرعة :

- بشأن عملية (الجيل الخامس) .

ازداد انعقاد حاجبى الأشيب ، وهو يقول فى توتر :

- أسرع إذن .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان الأصلع يقف أمامه ، قائلاً :

- لابد من حدوث تعديل فى الخطة .

لم يرق هذا القول للضخم ، وهو يقول فى عصبية :

- ولماذا ؟!

ناوله الأصلع ورقة ، تحوى آخر معلومة وصلت ، من عميلهم السرى فى (القاهرة) ، فطالعها الضخم

في توتر شديد ، قبل أن يتراجع في مقعده الكبير ، ويحك ذقنه بسبابته بضع لحظات في عصبية ، فقال الأصلع في حزم :

- لن يكون لديهم الوقت الكافي ، لبلوغ (سيناء) ، وتنفيذ المهمة كما ينبغي .

مطَّ الضخم شفتيه في عصبية ، وهو يغمغم :

- والمواجهة المباشرة لن تناسبهم بالتأكيد .

استغرق في التفكير بضع لحظات ، وهو يعيد دراسة الموقف كله ، قبل أن يرفع عينيه بغتة إلى الأصلع ، قائلاً :

- (القاهرة) الجديدة .

سأله الأصلع في حذر :

- ماذا تقصد بالضبط يا سيدي ؟!

نهض الضخم من مقعده الكبير ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- أقصد أننا سنعدل الخطة ، بحيث تتفق مع ما كان ينبغي أن يحدث منذ البداية .. فالجيل الخامس يناسب العمليات السرية في المدن ، بأكثر مما يناسب مواجهة مباشرة في الصحراء والجبال ..

ثم استدار إلى الأصلع ، وأكمل في حزم :

- أبلغهم أن (القاهرة) الجديدة ، هي مسرح العمليات الحالي .

سأله الأصلع في اهتمام :

- وماذا عن الخطة ؟!

تألقت عينا الضخم ، وهو يشرد ببصره في جذل وحشي ، مجيبًا :

- ستكون هناك خطة أخرى بديلة .. خطة أكثر اتساعًا .

وترقصت ضحكة شرسة على شفتيه ، وهو يضيف :

- وأكثر طموحًا .

قالها ، وانطلقت ضحكته تجلجل فى المكان ..

ضحكة عالية ..

قوية ..

ووحشية ..

* * *

لثانية أو ثانيتين ، تجمّد الموقف تمامًا ، داخل تلك القاعة ، فى أعماق بئر المنجم المهجور ، و(نور) و(رمزى) يحدقان فى ذلك الشىء الرهيب ، الذى يتطلع إليهما بعينين مشتعلتين كالجحيم ..

لم يكن ثعبانًا ..

أو حتى بشرًا ..

كان مزيجًا رهيبًا مخيفًا ، من هذا وذاك ..

نصفه العلوى بشرى ، له رأس أصلع ، وصدر قوى ، وذراعان مفتولا العضلات ، وعند منتصف البطن ، يبدأ نصفه الثعبانى ..

نصف مغطى بحراشيف ثعبانية ، تمتزج بخلايا بشرى ، وينتهى بذيل طويل ..

أما العينان ، فعلى الرغم من أنهما تتوسطان جمجمة بشرية ، إلا أنهما كانتا مشقوقتين طوليًا كعيون الثعابين ..

ولقد تحفّز ذلك الثعبان نصف البشرى ؛ لينقضّ عليهما مرة أخرى ، وهو يبرز أنيابًا حادة طويلة ، ويطلق فحيحًا رهيبًا مخيفًا ، تراقص معه لسانه المشقوق الطويل خارج فمه ..

وفى ذهول ، غمغم (رمزى) :

ـ ما هذا الشىء بالضبط ؟!

أجابه (نور) ، وهو يرفع فوهة سلاحه فى حذر :

ـ خصمنا .

سعل (رمزى) ، وهو يحاول النهوض ، قائلاً :

ـ أقسم ألا يكون هناك العديد من أمثاله .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا فارق .. واحد منها يكفى .

مع عبارته ، أطلق ذلك الثعبان نصف الآدمى فحيحًا رهيبًا آخر ، ثم انقضّ بغتة ..

وضغط (نور) زناد بندقيته الليزرية ، وانطلق خيط الأشعة منها ، ولكن فى نفس اللحظة ، التى هوى فيها ذيل الثعبان على البندقية ..

وطاشت الطلقة ، والبندقية الليزرية تطير من يد (نور) وتصطدم بالجدار ..

وبكل مهارته ، وثب (نور) نحو البندقية ، محاولًا استعادتها ، ولكن ذلك الثعبان الرهيب انقضّ عليه ، ولطمه بذيله الضخم ، بكل ما يملك من قوة ..

وشعر (نور) وكأن سيارة قد ارتطمت به ، فطار جسده فى الهواء ، وارتطم بالجدار بمنتهى العنف ، قبل أن يسقط على ظهره أرضًا ، وكل خلية فى جسده تصرخ ألمًا ..

وفى ظفر ، تألقت عينا ذلك الوحش ، وهو يتراجع لحظة ، ويطلق فحيحه الرهيب مرة أخرى ، ولسانه المشقوق يضرب الهواء ، استعدادًا للانقضاض على (نور) و ....

« هنا أيها الوغد .. »

انطلق هتاف (رمزى) صارمًا ، من الجانب الآخر للقاعة ، فاستدار إليه ذلك الثعبان نصف الآدمى فى وحشية ، فانحنى (رمزى) يلتقط سلاحه ، وهو يقول فى حزم :

ـ تجاهلك لى يهين كرامتى أيها الحقير .. هيا .. اترك (نور) واتجه نحوى أنا .

هتف (نور) :

ـ لا يا (رمزى) .. لا .

ولكن (رمزى) قال بنفس الصرامة :

ـ هيا أيها الوغد .. تعال إلىّ أنا .

أطلق الثعبان الرهيب فحيحه المخيف مرة أخرى ، فى نفس اللحظة التى التقط فيها (رمزى) سلاحه ، و ....

وفجأة ، وثب الثعبان ..

وثب وثبة هائلة ، استعان فيها بذيله الضخم القوى ، ليعبر القاعة كلها دفعة واحدة ، ثم يمسك (رمزى) بذراعيه القويتين فى صرامة ووحشية ..

وانتفض جسد (رمزى) كله فى عنف ، وعيناه تحدقان مباشرة ، فى عينى ذلك الثعبان الرهيب ، الذى فتح فكيه عن آخرهما ، لتبرز أنيابه الحادة الطويلة ، و(نور) يقاوم آلامه ، لينهض هاتفًا :

- لا .. ليس (رمزى) .

ومع نهاية هتافه ، هوى ذلك الثعبان البشع بأنيابه ، على صدر (رمزى) مباشرة ..

وانتفض جسد (نور) فى عنف ، مع ذلك المشهد ..

وشهق (رمزى) فى قوة ، قبل أن يفلته الثعبان ، ويتراجع بحركة حادة وبكل ذعره وتوتره ، هتف (نور) :

- يا إلهى ! (رمزى) .. (رمزى) .

هتف (رمزى) ، فى توتر مفعم بالدهشة :

- لا تقلق يا (نور) .. أنيابه لم تصب جسدى .. لقد مزقت الثوب الواقى فحسب .

اتسعت عينا (نور) فى ارتياع ، وهو يحدق فى ذلك الوحش نصف الآدمى ، الذى انتفخت أوداجه على نحو عجيب ، وهتف :

- يا إلهى ! ذلك السم .

وهنا .. هنا فقط ، انتبه (رمزى) للأمر ، وأدرك لماذا مزق الوحش زيه الواقى ..

وبكل رعب الدنيا ، اتسعت عيناه ، و ....

واندفع رأس الوحش إلى الأمام فى قوة ..

وانطلق من بين شفتيه فيض من السم .. القاتل ..

* * *

٢ ـ ثقب فى الزمن ..

« ما الذى يحدث بالضبط ؟! »

ألقى (أكرم) السؤال ، فى توتر لا محدود ، وهو يشير إلى ما يشبه دوّامة صغيرة متألقة ، تتسع فى سرعة ، فى بقعة ما من ذلك الفراغ الزمنى ، الذى يسبح فيه مع (محمود) فهزّ هذا الأخير رأسه ، فى حيرة لا تقلّ توترًا ، وهو يجيب :

ـ لست أدرى .. هذا لم يحدث من قبل قط ، منذ وجودى هنا .

سأله (أكرم) فى عصبية :

ـ أتعتقد أنه أشبه بتلك العاصفة الزمنية ، التى ..

قاطعه فى سرعة وحسم :

ـ كلاّ ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ـ إنه شىء لم أشهده من قبل قط .

كانت تلك الدوّامة تتسع ..

وتتسع ..

وتتسع ..

ومع اتساعها ، كانت سرعة دورانها تتزايد أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولفترة ما ، يصعب تحديدها ، فى فراغ زمن كهذا ، لم ينبس (محمود) أو (أكرم) ببنت شفة ، قبل أن يقطع الأوّل ذلك الصمت ، قائلاً فى توتر :

ـ الأفضل أن نبتعد عن هنا .

استدار إليه (أكرم) بحركة حادة ، وحدّق فى وجهه لحظة ، وكأنما يحاول أن يستشف ما يعتمل فى أعماقه ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ هيا بنا ..

أدارا ظهريهما معًا لتلك الدوامة العجيبة ، وهمّا بالابتعاد ، و .....

وفجأة ، شعر (أكرم) بقوة عجيبة ، تجذبه إلى الخلف في عنف ..

قوة شفط علاقة ، سحبته نحو الدوامة ..

مباشرة ..

وبكل دهشته وتوتره ، هتف :

- يا إلهي ! ماذا يحدث ؟!

استدار إليه (محمود) بحركة سريعة ، واتسعت عيناه ، وهو يهتف بدوره :

- رباه ! لقد التقطتك .

قالها ، ثم دفع يده نحو (أكرم) ، ليتشبث كل منهما بالآخر في قوة ..

ولكن قوة الجذب تضاعفت ..

وتضاعفت ..

وتضاعفت ..

وفي دهشة عارمة ، هتف (محمود) :

- ولكن لماذا ؟! لماذا أنت ؟! إنني أشعر بقوة هائلة تجذبك ، إلى مركز الدوامة ، في حين لايجذبني أي شيء إليها ، على الرغم من أنني أقف على مسافة متر واحد منك .

كان (أكرم) يقاوم ذلك الجذب في استماتة ، وهو يهتف :

- لقد قلتها .. تلك الدوامة التقطتني أنا لسبب ما .

تزايدت قوة الجذب ، حتى راح جسده يتراجع ، على الرغم من كل محاولات (محمود) ، الذي بدأ جسده يزحف مع جسد (أكرم) ، المتشبث به في قوة ، فهتف هذا الأخير ، في حزم عصبي :

- لا فائدة يا صديقي .. إنها مصرة على ابتلاعي .. اتركني بالله عليك .. اتركني قبل أن نذهب معًا .

صاح (محمود) في صرامة :

- محال .



تزايدت قوة الجذب ، حتى راح جسده يتراجع ، على الرغم من كل محاولات (محمود) ، الذي بدأ جسده يزحف مع جسد (أكرم) ..

صرخ فيه (أكرم) ، وقد بدأ جسداهما يندفعان نحو الدوامة العجيبة بسرعة أكبر :

- قلت : اتركني .. هذا أمر .

صاح فيه (محمود) ، وهو يمسك معصمه بقوة أكبر :

- ومن قال : إنه بإمكانك أن تصدر لي أية أوامر .

بدا من الواضح أن المقاومة مستحيلة ، وأنه هناك قوة شفط جبارة ، في قلب تلك الدوامة ، اختارت (أكرم) بالتحديد لتجذبه إليها ، وتبتلعه في أعماقها لسبب ما ، مع تزايد سرعة اندفاعه نحوها أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ولكن أكثر ما أقلقه ، في تلك اللحظة ، هو أنه يجذب (محمود) معه دون مبرر ، إلى مصير مجهول ..

مجهول تمامًا ..

ومرة أخرى ، صرخ :

ـ اتركنى يا (محمود) .. اتركنى بالله عليك .

صرخ (محمود) ، فى عناد وإصرار :

ـ مستحيل !

هتف (أكرم) :

ـ إنك لم تترك لى الخيار إذن .

ثم استجمع قوته ، وهوى على فك (محمود) بلكمة كالقنبلة ، صائحًا فى مرارة :

ـ سامحنى يا صديقى .

دفعت اللكمة المباغتة (محمود) بعيدًا ، وأجبرته على إفلات معصم (أكرم) ، الذى أدى غياب مقاومة (محمود) المفاجئ إلى تضاعف سرعة اندفاعه بغتة ، ليهوى جسده نحو الدوّامة العجيبة ، و(محمود) يصرخ :

ـ لماذا يا (أكرم) ؟! لماذا ؟!

ولكن كلماته ضاعت وسط الفراغ الزمنى اللانهائى ، عندما غاص جسد (أكرم) فى قلب تلك الدوامة دفعة واحدة ، واختفى ..

اختفى تمامًا ..

من نهر الزمن ..

* * *

ثانية واحدة ، كان يحتاج إليها ذلك الثعبان الوحشى نصف الآدمى ، لينفث سمه الرهيب ، فى وجه (رمزى) ..

ومع التمزقات التى أحدثها فى ثوبه الواقى ، كان من المحتّم أن يقتله ذلك السم المطوّر خلال ثلاث دقائق فحسب ..

وبأبشع آلام واجهها ، فى عمره كله ..

ولقد تألّقت عينا الثعبان ، وهو يتراجع برأسه ، وتلك الغدد اللعابية المتطوّرة تحت لسانه ، تفرز المزيد والمزيد من ذلك السم ، و ....

وفجأة ، وثب (نور) ..

لم يكن قد استعاد سلاحه بعد ، والآلام مازالت تعربد فى كل جزء من جسده ، ولكنه شاهد زميله فى خطر ، فوثب ..

وبحركة ماهرة سريعة ، تعلق بعنق ذلك الثعبان من الخلف ، صارخاً :

ـ لا .. لن تفعلها .

مبادرته باغتت ذلك الوحش بالفعل ؛ فأطلق فحيحاً غاضباً ، وتناثر قدر من السم من بين شفتيه ، وهو يدور حول نفسه ، ويحاول انتزاع (نور) من خلف ظهره بذراعيه القويتين ..

ولكن (نور) أحاط عنقه بذراع كالفولاذ ، وهو يهتف :

ـ سلاحك يا (رمزى) .. التقط سلاحك .

كان من الواضح أن ذلك الوحش قد فهم ما يعنيه (نور) ، إذ انطلقت من حلقه صرخة مختنقة ، أعقبها ذلك الفحيح المخيف ، وهو يحاول الاندفاع نحو (رمزى) ، وذيله يضرب الهواء ، لمنعه من بلوغ سلاحه ..

ولكن (نور) اعتصر عنقه بقوة من الخلف ، وهو يهتف :

ـ لا لن أسمح لك ..

نفث الثعبان الرهيب بعض السم مرة أخرى ، فى هواء القاعة ، وهو يواصل إطلاق فحيحه الغاضب ، ويدور حول نفسه فى عنف ، فى محاولة للتخلص من(نور) ، الذى راحت ذراعه القوية تعتصر عنق الوحش أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وشعر (رمزى) برذاذ يتناثر على خوذته ، وببعضه يخترق زيه الواقى الممزق ، ويتساقط على كتفه اليسرى ، إلا أنه لم يتوقف لحظة واحدة ، للتساؤل عما يمكن أن يفعله به هذا ، وإنما وثب يلتقط سلاحه من ركن القاعة ، ويصوبه إلى ذلك الشىء البشع ، هاتفاً :

ـ لقد استعدته يا (نور) .

كان الثعبان الضخم قد رفع ذيله ، وراح يضرب به (نور) من الخلف ، وهو يواصل الدوران حول نفسه فى عنف ، وقد أصابه الذعر ، مع الاختناق الذى شعر به ، إثر اعتصار بطلنا لعنقه فى قوة ..

وكانت ضربات الذيل قاسية عنيفة ، إلا أن (نور) كان يدرك جيدًا أن فرصتهما الوحيدة فى النجاة ، هى فى القضاء على ذلك الوحش ، الذى لن يرحمهما لحظة واحدة ، لو أنهما سقطا فى قبضته ..

وعلى الرغم من كراهيته للقتل والعنف والتدمير ، فقد استنفر (نور) كل عضلاته وقوته ، ليعتصر عنق ذلك الوحش بذراعه الفولاذية ، صائحًا :

- أطلق النار يا (رمزى) .. أطلق عليه النار مباشرة .

كان (رمزى) يصوّب سلاحه إلى الثعبان الضخم بالفعل ، ولكن حركته المستمرة ودورانه العنيف حول نفسه ، فى محاولاته التخلص من (نور) ، جعلته يخشى إصابة هذا الأخير ..

ثم إنه كان هناك ذلك الدوار ..

دوار اكتنف رأسه ، وسرى فى عنقه وعينيه ، وراحت الرؤية تغيم أمامه فى سرعة ، وقدرته على التركيز والتصويب تتلاشى ، فهتف :

- رباه ! (نور) .. يبدو أن .. يبدو أن ..

لم يستطع إكمال عبارته ، وسقطت بندقية الليزر من يده ، وأظلمت الدنيا أمام عينيه فى سرعة ، فهتف به (نور) ، وهو يواصل اعتصار عنق ذلك الوحش الرهيب :

- لا يا (رمزى) .. تماسك .. تماسك بالله عليك .

ونقلت آلة التصوير ، الملقاة فى الركن ، ذلك المشهد البشع الرهيب ..

مشهد (رمزى) ، وهو يسقط أرضًا كالحجر ، وجسده ينتفض فى عنف ، فى حين يطلق ذلك الثعبان الرهيب فحيحًا تلو الآخر ، وذيله يدور خلفه ، ليحيط وسط (نور) فى قوة ..

وشعر (نور) بالذيل الضخم يلتف حوله ، فأمسك معصمه الأيمن بكفه اليسرى ، وأطلق صرخة عاتية :

- لا .. ليس (رمزى) .

ثم هتف ، وكل عضلات ذراعيه وساعديه تنتفخ ، على نحو عجيب :

ـ ساعدني يا إلهي ! ساعدني !

وأطلق الوحش فحيحًا مختنقًا هذه المرة ، واكتست عيناه المشقوقتان طولاً بلون أحمر كالدم ، وبذل ذيله الضخم محاولة أخيرة ..

ثم سمع (نور) تلك القرقعة المكتومة ..

ومع صوتها ، تهاوى الثعبان الضخم نصف الآدمي دفعة واحدة ، وارتطم رأسه بالأرض في عنف ..

ولثوان ، وعلى الرغم من ثقته بما حدث ، واصل (نور) اعتصار عنق الوحش بلا هوادة ، ثم لم يلبث أن تخلى عنه ، ووثب نحو (رمزي) الملقى أرضًا ، هاتفًا :

ـ ربَّاه ! (رمزي) .. ساعده يا إلهي ! لا تجعلنا نخسره على هذا النحو .. ساعده .

التقط أحد المصباحين من الأرض ، وراح يفحص (رمزي) ، الذي اتسعت عيناه في ألم واضح ، وبدا وجهه داكنًا أكثر مما ينبغي ، و ....

« أبي .. هل .. هل مات ؟! »

انبعث صوت (نشوى) من جهاز الاتصال بغتة بهذا السؤال ، فانتفض معه جسد (نور) ، قبل أن يهتف :

ـ لست أدري .. يا إلهي ! لست أدري .

صاحت في انهيار :

ـ لا تتركه يموت يا أبي .. افعل شيئًا بالله عليك .. لا تتركه يلقى مصرعه هكذا .

غمغم (نور) ، وهو يلتقط من حزامه تلك الجرعة المضادة للسم ، والتي زوّده بها معمل الأبحاث ، التابع لإدارة المخابرات العلمية :

ـ ليس أمامي سوى شيء واحد أفعله .

وفضّ غلاف المحقن الخاص ، مستطردًا في عصبية :

ـ وأخشى أن يفلح .

لم يكد يتم قوله ، وقبل حتى أن يغرس إبرة المحقن في ذراع (رمزي) ، ارتفعت صرخة (سلوى) ، عبر جهاز الاتصال ، بكل ذعر ورعب الدنيا :

ـ (نور) .. خلفك .

واستدار بكل سرعته وانفعاله، مع ضوء مصباحه، و ....

وتجمدت كل قطرة دم في عروقه ..

فأمامه مباشرة، وعلى مسافة مترين فحسب، كان يقف ثعبان آخر ..

ثعبان ضخم، نصفه آدمي، و ....

وقاتل ..

* * *

قرقعة عنيفة، دوت في تلك القاعة، التي اكتظت فيها أجهزة صاحب الشارب الكث، الذي أصابه ذعر هائل، فراح يصرخ ..

ويصرخ ..

ويصرخ ..

وانتابته حالة هستيرية عجيبة، فراح يعدو في كل اتجاه، على نحو جعل (مشيرة) تصرخ فيه :

ـ تماسك يا رجل ... ماذا أصابك ؟!

مع صرختها، انتشرت في المكان رائحة، أشبه برائحة الأوزون المحترق ..

وانتفض جسد صاحب الشارب الكث بمنتهى العنف، وعيناه تتسعان عن آخرهما، في حين تراجعت (مشيرة) في رعب، هاتفة :

ـ يا إلهي ! يا إلهي !

فما حدث أمامها، في تلك القاعة، وتلك اللحظة، كان أمرًا خرافيًا ..

ورهيبًا ..

بحق ..

فعلى الجدار المجاور للأجهزة، ظهر ما يشبه الدوّامة ..

وبدا وكأن الجدار في منتصفها يذوب ..

ويذوب ..

ويذوب ..

ثم فجأة ، انطلقت منها رياح قوية محدودة ، طار معها شعر (مشيرة) ، وهى تصرخ :

ـ ما هذا ؟! ما هذا ؟!

ومع آخر حروف صرختها ، دوت فرقعة أخرى ..

ثم اندفع ذلك الجسد من الجدار ..

اندفع كما لو أنه قد برز من العدم ، وطار عبر فراغ القاعة ، ليرتطم بصاحب الشارب الكث فى عنف ، ويسقطان معًا أرضًا ..

وفى ذهول ، حدّقت (مشيرة) فى ذلك الجسد ، قبل أن تتراجع صارخة :

ـ (أكرم) ؟!

كاد صاحب الشارب الكث يصاب بالجنون ، وهو يدفع جسد (أكرم) بعيدًا عنه ، ويصرخ فى رعب هائل :

ـ زوجك ؟! لا .. هذا مستحيل ! مستحيل !

لم يكن (أكرم) أقلّ ذهولاً منهما ، وهو ينقل بصره

بينهما ، ثم يستدير ليحدّق فى الجدار ، الذى اختفت منه تلك الدوامة ، فى نفس الوقت الذى توقفت فيه الأجهزة المختلفة عن الاهتزاز ، وانطفأت شاشاتها ، واستقرّ الأمر كله ..

كان ما حدث أمرًا لا تفسير له ، من أية وجهة نظر علمية ، ولكن حدوثه يعنى أنه هناك قاعدة ما ، حققت هذا الأمر المستحيل ..

انتزعت (أكرم) من نهر الزمن ، وأعادته إلى عالمه ..

وزمنه ..

وزوجته ..

زوجته ، التى اندفعت نحوه بكل سعادتها ولهفتها ، وألقت نفسها بين ذراعيه ، ودموعها تغرق وجهها ، وقلبها يهتف عبر شفتيها :

ـ حمدًا لله على عودتك يا (أكرم) .. حمدًا لله .

حدّق فيها ، وكأنه يراها لأول مرة ، ثم أدار عينيه إلى صاحب الشارب الكث ، قائلاً فى حيرة :

ـ أين أنا ؟! ماذا حدث ؟!

هتفت في فرح :

- لايهمني ماذا حدث ، ولا كيف حدث .. المهم أنك هنا .

حدّق فيها مرة أخرى ، بكل حيرة الدنيا ، في حين راح صاحب الشارب الكث يبكي وينتحب ، على نحو لا يتناسب قط مع مظهره الخشن ، وهو يقول :

- إنني لم أقصد هذا .. أقسم إنني لم أقصد هذا .. لقد كان الأمر كله مجرد خدعة متقنة .. لم أقصد قط العبث بالأرواح .

هتف (أكرم) في غضب :

- العبث بماذا ؟! يالك من وغد حقير ! ومن أنت أيها المأفون ، حتى تعبث بالأرواح ، التي هي من أمر بارئها (عزّ وجلّ) وحده ؟!

لوّح الرجل بكفيه ، قائلاً في انهيار :

- لم أقصد هذا .

استدار (أكرم) إلى زوجته في غضب ، قائلاً :

- من هذا المتخلّف ؟!

أجابته بابتسامة كبيرة :

- دعك منه .. إنه مجرد دجّال محتال ، فوجئ بأن الطبيعة قد تجاوزت حدودها ، واستجابت لخزعبلاته مرة ، دون سابق إنذار .

رمقه (أكرم) بنظرة احتقار ، و ....

وفجأة ، وثبت تلك الصورة إلى ذهنه ..

صورة (نور) والرفاق ..

وذلك الموقف البشع ..

وبانفعال جارف مفاجئ ، تراجع خطوة حادة ، ثم أمسك كتفي (مشيرة) في قوة ، هاتفاً :

- يا إلهي ! أين (نور) والآخرون يا (مشيرة) ؟! لابد أن نمنع ما سيحدث لهم بأي ثمن .

انتفض جسدها في هلع لما يقول ، وسألته بصوت مرتجف :

- وما الذي سيحدث لهم يا (أكرم) ؟!

هتف فى ارتياع :

- أمر بشع .. بشع للغاية .. إنهم سوف ..

فجأة ، وقبل أن يتمّ عبارته ، شعر وكأن لطمة قوية قد أصابت عقله .. بل مخه مباشرة ..

لطمة ارتجّ لها جسده كله ، واتسعت معها عيناه عن آخرهما ، وامتقع وجهه ، حتى بدا عجيبًا مخيفًا ، فشهقت (مشيرة) ، هاتفة :

- رباه ! (أكرم) .. ماذا أصابك ؟!

حاول أن يخبرها بما أصابه ..

ولكنه لم يستطع ..

ربما لأن لسانه قد تجمّد فى حلقه ..

أو لأنه لم يفهم ما أصابه ..

أو لأن كل شىء قد أظلم من حوله بغتة ..

إنه شىء يتعلّق بذلك العبور العنيف ، من نهر الزمن إلى عالمه ..

شىء يتعلّق به حتمًا ..

شىء جعله يشعر وكأن كيانه كله ينضغط ..

وينضغط ..

وينضغط ..

ثم انهار دفعة واحدة ..

وهوى (أكرم) فاقد الوعى ، و(مشيرة) تصرخ :

- (أكرم) .. ماذا حدث ؟! ماذا حدث ؟!

وعلى الرغم من موقفها ، وهلعها لما أصاب زوجها ، لم يستطع شيطان الصحافة ، القابع فى أعماقها ، أن يطرد عن ذهنها سؤالاً ملحًا ..

تُرى أى موقف بشع هذا ، الذى سيواجهه (نور) ورفاقه ؟!

أى موقف ؟!

بل أى هول ؟!

* * *

بعينين ناريتين مشقوقتين ، حدّق ذلك الوحش الثانى فى (نور) ، والغضب يطلّ من كل لمحة من لمحات وجهه الآدمى ، الذى يشبه تمامًا وجه قرينه ، الذى لقى مصرعه منذ قليل ..

ومع تراقص لسانه المشقوق خارج حلقه ، أطلق فحيحًا رهيبًا ، يشبه فحيح رفيقه الصريع ، وهو يميل بنصفه الآدمى العلوى نحو (نور) ، مستندًا بذيله الثعبانى الضخم على أرضية القاعة ..

ومن جانبه ، عند منطقة التقاء نصفيه ، الآدمى والثعبانى ، كانت الدماء تسيل غزيرة ، من ذلك الجرح ، الذى أحدثته فيه بندقية (نور) الليزرية ، عندما كان يقبع تحت رمال المعسكر ..

وكان من الواضح ، مع تلك الكراهية المطلّة من عينيه ، أنه يعلم هذا ..

ويتذكّره ..

ويمقته ..

وعبر جهاز الاتصال ، انبعث صوت (سلوى) ، وهى تقول فى توتر :

- سلاحك هناك يا (نور) .. على بعد ثلاثة أمتار ، إلى يسارك مباشرة ..

غمغم (نور) ، وهو يتطلّع إلى عينى الوحش :

- المشكلة أنهم يفهمون ما نقوله .

هتفت مذعورة :

- يا إلهى ! يا إلهى !

كشّر الوحش عن أنيابه الحادة فى شراسة ، ورفع ذراعيه فى تحفز ، وانطلق من حلقه ذلك الفحيح ..

وتحفّزت كل ذرة فى كيان (نور) ، واستيقظت كل خليةٍ فى مخه ، و ....

وفجأة ، انقضّ الوحش ..

ووثب (نور) جانبًا ..

كانت مباراة فى الخفة وسرعة الاستجابة ، فقد رصد (نور) حركة الثعبان نصف الآدمى جيدًا ..

ومع أول بادرة حركة منه ، وثب هو يتفادى انقضاضته ..

وثب نحو بندقيته الليزرية ..

مباشرة ..

ولكن الجانب الآدمى من الوحش ، كان يدرك أنه سيفعلها ..

وفى هذا الاتجاه بالتحديد ..

لذا فقد انقض انقضاضة مزدوجة ، تحرك فيها نصفه الآدمى إلى الأمام ، فى حين اندفع ذيله الثعبانى نحو الركن ، ليضرب جسد (نور) ، قبل أن يبلغ سلاحه بسنتيمترات قليلة ..

ومع عنف الضربة ، طار جسد (نور) فى الهواء ، وارتطم مرة أخرى بالجدار ، ثم سقط أرضًا ..

وانطلق الثعبان نصف الآدمى فحيحًا ظافرًا شامتًا ، وهو يندفع مرة أخرى نحو (نور) ، و(سلوى) تصرخ ، عبر جهاز الاتصال :

- لا .. لا يا (نور) .. لا ..

استنفر (نور) كل طاقته وقوته ، ودفع جسده إلى الأمام ، ثم تدحرج أرضًا فى قوة ، ليبتعد عن الوحش ، الذى ارتطم بالجدار ، مع سرعة اندفاعه ، ثم استدار يواجه (نور) ، بكل غضب ووحشية الدنيا ..

وفى هذه المرة ، فرد ذيله الضخم ، ليقطع الطريق على بطلنا تمامًا ، وهو يدير نصفه الآدمى إلى الاتجاه الآخر ..

وانتبه (نور) ، فى تلك اللحظة فقط ، إلى أنه مسجون فى الركن البعيد للقاعة ، وذلك الوحش السام يحاصره ، بمزيج من غريزة حيوانية شرسة ، وذكاء بشرى شرير ..

وقفز (نور) ، محاولاً الخروج من الحصار ، ولكن ذلك الذيل الضخم اعترض طريقه ، بحركة حادة سريعة ..

ثم التف حول وسطه بغتة ..

وقاوم (نور) ..

وقاوم ..

وقاوم ..

ولكن الثعبان العملاق حمله بذيله الملتف حوله ، وأدار جسده إليه ، ثم تألقت عيناه مرة أخرى ، وهو يطلق فحيحه الرهيب ، و ....

وانقض بأنيابه الحادة الطويلة ..

انقض بكل قوته ..

وكل وحشيته ..

* * *

٣ ـ الوحوش ..

أطلق رجل البريد صفيرًا منغومًا ، من بين شفتيه ، وهو يوقف سيارته أمام منزل (نور) ، وبدا مرحًا كعادته ، وهو يتجاوز الحديقة الصغيرة ، هاتفًا :

ـ طرد شخصى يا سيد (نور) .

كان يعلم أنه هناك وسيلة إليكترونية بسيطة ، للقيام بالعمل نفسه ، إلا أنه ، ومنذ حداثته ، كان يميل إلى الأسلوب التقليدى ، الذى كان يتبعه والده ..

ثم إنه كان أحد المعجبين والمغرمين بالمقدم (نور) ، بطل التحرير الشهير ، وكانت أكثر لحظات حياته سعادة ، هى تلك التى يلتقى فيها به وجهًا لوجه ، أو يصافحه مباشرة ..

ولهذا السبب ، كان يصر على تقديم الرسائل والطرود إليه شخصيًا ، بدلا من استخدام الأساليب الإليكترونية الحديثة ..

وبابتسامة كبيرة ، طرق باب منزل (نور) ، وهو يكرر :

- طرد للسيد (نور) شخصيًا .

انتظر قليلاً ، قبل أن يعاود الطرق مرة ثانية ، وثالثة ، و ....

« أهذا منزل المقدم (نور) ؟! » ..

انبعث السؤال من خلفه مباشرة ، بصوت عجيب ، أشبه بالفحيح ، مع لكنة أجنبية واضحة ، جعلته يلتفت إلى صاحبها ، ويتطلّع إليه في دهشة ، لم تستطع منع ذلك التوتر القلق ، الذي سرى في جسده ، وهو يغمغم :

- إنه هو .

تطلّع إليه ذلك القادم بنظرة صارمة ، أطلقت في جسده قشعريرة باردة كالثلج وخاصة عندما امتزجت بذلك الصوت الفحيحي ، الذي يقول :

- ومن أنت ؟!

ازدرد رجل البريد لعابه في صعوبة ، وهو يقول في عصبية :

- بل السؤال هو من أنت ؟! فأنا رجل البريد الخاص بالمنطقة ، وكل من هنا يعرفني جيدًا ، أما أنت ..

تلفّت ذلك الغريب حوله في هدوء ، وهو يقاطعه ، قائلاً :

- كل من هنا ؟! عجبًا ! المنازل تبدو لي متباعدة هنا ، بحيث لا يمكن أن يلمحك أحد الآن .

قال رجل البريد ، في عصبية أكثر :

- لو أنك تنتمي إلى هنا ؛ لعلمت أن هذا هو النظام المتبع ، في كل المدن الجديدة ، و ....

قبل أن يتمّ عبارته ، وبلا أية مقدمات ، انقضّ عليه الغريب فجأة ، وقبض على عنقه بأصابع فولاذية ، وهو يدفعه نحو الباب في عنف ، مطلقًا صرخة أشبه بالفحيح والزمجرة معًا ..

وصرخ رجل البريد ، من فرط المفاجأة والألم والرعب ، وراح يضرب الرجل بيديه فى ارتياع ، وهذا الأخير يواصل دفعه أمامه ، حتى ارتطم بباب المنزل فى عنف ..

وبكل قوته وذعره ، لطم رجل البريد ذلك الرجل فى وجهه ، صارخاً :

ـ ماذا تفعل ؟! ماذا تريد منى ؟!

ومع لطمته ، سقطت عدسة بصرية عن عين الرجل اليسرى ..

ومع سقوطها ، بدت عينه الحقيقية تحتها ..

عين مشقوقة طوليًا ، كعيون الثعابين ..

وانتفض جسد رجل البريد بمنتهى الرعب ..

واحتبست فى حلقه صرخة هائلة ..

واتسعت عيناه عن آخرهما ..

ومع اتساعهما ، فتح الغريب فمه ، وهو يطلق تلك الزمجرة الفحيحية مرة أخرى ..

وصرخ رجل البريد هذه المرة ، عندما وقع بصره على تلك الأنياب الطويلة الرهيبة ، التى تبرز من فم الغريب ..

وقبل حتى أن تكتمل صرخته ، انقضت تلك الأنياب على رقبته ، وانغرست فى وريده العنقى مباشرة ..

واتسعت عينا الرجل أكثر وأكثر ، والسم الرهيب يسرى فى جسده ، الذى راح ينتفض بمنتهى العنف ..

وينتفض ..

وينتفض ..

ثم همدت حركته تمامًا ..

ولثوان ، ظلّ ذلك الثعبان الآدمى يغرس أنيابه فى عنق الرجل ، حتى تيقّن من موته تمامًا ، فانتزعهما بحركة حادة ، وترك ضحيته يسقط أرضًا ، فى حين أخرج هو من جيبه جهازًا خاصًا ، ألصقه برتاج منزل (نور) ، وضغط أزراره فى سرعة ، قبل أن يتراجع ، ليقف ساكنًا هادئًا ..

وأضاء مصباح أحمر صغير فى ذلك الجهاز لبضع ثوان ، ثم لم يلبث أن تحول إلى اللون الأخضر ، فدفع الثعبان الآدمى الباب فى رفق ، ودخل إلى منزل (نور) ، ثم استدار يجذب جثة رجل البريد إلى الداخل ، ويغلق الباب خلفه فى إحكام ..

ولدقيقة كاملة ، وقف يدير عينيه فى المكان ، قبل أن يتجه إلى ركن الصالة ، دون أن يضىء الأنوار ، ووقف هناك كالتمثال ، عاقدًا ساعديه أمام صدره ، فى انتظار اللحظة المحدودة لتنفيذ مهمته ..

مهمة اغتيال (نور) ..

بطل التحرير ..

* * *

فجأة ، هبط رجال القوات الخاصة إلى قاع البئر ..

كان ذلك الوحش نصف الآدمى يعتصر جسد (نور) بذيله الضخم ، ويهمّ بغرس أنيابه فى جسده ؛ ليمزّق ثوبه الواقى ، عندما وثب الرجال داخل القاعة ، وغمرته أضواء مصابيحهم القوية ، وقائدهم يهتف :

ـ تذكروا الهدف الرئيسى .. إنقاذ القائد (نور) بأى ثمن .

أطلق الوحش فحيحًا غاضبًا قويًا ، وهو يتراجع بنصفه الآدمى العلوى فى حركة حادة ، فصاح (نور) :

ـ احترسوا .. إنه ينفث السم فى وجوه ضحاياه .

كان الرجال يحدقون ذاهلين ، فى ذلك الشىء الرهيب الذى يواجهونه ، على الرغم من أن (نشوى) قد أطلعتهم على ما نقلته عنه آلة التصوير ، قبل هبوطهم ، ولكن صيحة (نور) انتزعتهم من ذهولهم ، فهتف قائدهم فى عصبية :

ـ لن يجد الوقت ليفعل .

ومع قوله ، أطلق الوحش فحيحًا غاضبًا آخر ..

ثم انقضّ بكل قوته ..

ومع انقضاضته ، انطلقت رصاصاتهم ، وخيوط أشعتهم القاتلة ..

وصرخ الوحش نصف الآدمى ، فى ألم غاضب ، والنيران تخترق جسده ، فى مواضع شتى ..

وفلت ذيله جسد (نور) الذى سقط أرضًا ، وتدحرج مبتعدًا عن مرمى النيران التى واصل الرجال إطلاقها فى غزارة عجيبة ، وكأنما يفرغون معها انفعالهم الشديد ، لمواجهة شىء كهذا ..

وسقط الوحش نصف الآدمى ..

سقط جثة هامدة ، إلى جوار رفيقه ، وسالت منه الدماء غزيرة ، فى نفس اللحظة التى هبّ فيها (نور) واقفًا ، وهو يهتف :

- إسعاف .. نحتاج إلى إسعاف عاجل .. (رمزى) فى خطر .

التقط قائد الرجال من حزامه محقنًا ، يحوى تلك المادة المضادة للسم ، وهو يجيب :

- الإسعاف الطائر فى الطريق ، ولدينا هنا كل الإسعافات الأولية الضرورية اللازمة .

قالها ، ثم انحنى يغرس إبرة المحقن فى ذراع (رمزى) ، وهو يفحصه ، مستطردًا :

- ربما تأخر الأمر بعض الشىء ، ولكنه مازال حيًا .

غمغم (نور) ، وهو يشعر وكأنما يبذل جهدًا يفوق البشر :

- لقد تلقى بعض الرذاذ فحسب .

هتف الرجل فى دهشة :

- بعض الرذاذ ، فعل به كل هذا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يغمغم :

- من الواضح أنه سم قوى للغاية .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث صوت (نشوى) ، عبر جهاز الاتصال ، وهى تهتف :

- أبى .. أنت خارج مجال رؤية آلة التصوير ، أخبرنى بالله عليك .. أأنت بخير ؟!

التقط آلة التصوير ، وأدار عدستها لتواجه وجهه ، وهو يتنهد في عمق ، قائلاً :

ـ نعم يا (نشوى) .. أنا بخير .. و(رمزى) مصاب ، ولكنه سيتجاوز مرحلة الخطر بإذن الله .

سمعها تهتف :

ـ (رمزى) ؟! يا إلهى ! يا إلهى !

التقطت منها (سلوى) جهاز الاتصال ، هاتفة :

ـ حمداً لله على سلامتك يا (نور) .. هناك خبر مهم ، لابد أن تعرفه فوراً .

سألها في اهتمام متوتر :

ـ وما هو ؟!

أجابته في سرعة :

ـ لقد عاد (أكرم) .

صرخ (نور) ، بكل لهفته وانفعاله :

ـ عاد ؟!

لم تمض نصف الساعة ، على صرخته هذه ، حتى كان يندفع إلى حجرة (أكرم) ، في المستشفى العسكرى في (القاهرة) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى ! (أكرم) .. حمداً لله .. حمداً لله .

استوقفته (مشيرة) في توتر ، قائلة :

ـ رويدك يا (نور) .. إنه فاقد الوعى .

تطلع في لهفة إلى (أكرم) الراقد في غيبوبته العميقة ، وكأنما لا يصدق أنه يراه أمامه ، على قيد الحياة ، في حين سألته (مشيرة) في عتاب :

ـ أين كنتم يا (نور) ؟!

تنهد في حرارة ، وهز رأسه ، وهو يجلس على طرف فراش (أكرم) ، قائلاً :

ـ لن يمكنك أن تصدقى أبداً .

قالت بعنادها التقليدى :

ـ جربنى .. أنا صحفية متفتحة الذهن .

ابتسم ابتسامة باهتة ، مغمغمًا :

ـ ليس إلى هذا الحد .

قالت بنفس العناد :

ـ دعنا نختبر هذا .

لوّح بسبّابته فى الهواء ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ هذا مستحيل .. اقرئى شفتىّ .. أمن قومى .. سرى للغاية .

مطّت شفتيها ، وانعقد حاجباها فى غضب ، وهى تقول :

ـ كالمعتاد .

هزّ كتفيه ، قائلاً :

ـ ينبغى أن تعتادى هذا .

هتفت فى حدة :

ـ محال .

هزّ كتفيه مرة أخرى ، ثم سألها فى اهتمام :

ـ كيف عاد (أكرم) ؟!

رفعت أحد حاجبيها فى تحد ، قائلة :

ـ لن يمكنك أن تصدّق أبدًا .

تطلّع إليها فى عتاب صارم ، فهتفت :

ـ إنه ليس ردًا على أسلوبك يا (نور) ، ولكن الأمر غير طبيعى بالفعل .

قلّد أسلوبها ، وهو يقول :

ـ جربينى .. أنا رجل مخابرات متفتح الذهن .

تنهّدت ، قائلة :

ـ أعلم هذا .

ثم جلست بدورها ، على طرف فراش (أكرم) ، وفركت كفيها لحظة ، قبل أن تجيب فى عصبية :

ـ لقد جاء عبر الجدار .

مال نحوها ، متسائلاً فى دهشة :

ـ عبر ماذا ؟!

قالت فى حدة :

ـ عبر الجدار .. ألم تسمعنى جيدًا ؟!

صمت لحظة ، ثم قال فى بطء ، محاولاً تهدئتها :

ـ سمعتك ، ولكننى لم أستوعب الأمر .

فركت كفيها مرة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ فليكن .. سأخبرك .

وعلى الرغم من خجلها ، من لجوئها إلى دجال محتال ، فى محاولة لاستعادة زوجها ، راحت تروى له كل ما حدث ..

وبأدق التفاصيل ..

ولقد استمع إليها هو بمنتهى الانتباه والاهتمام ، حتى انتهت من روايتها ، فتراجع فى مقعده ، مغمغمًا فى حيرة :

ـ عجبًا ! لا يوجد أى منطق علمى فى الدنيا ، يمكن أن يبرر ما حدث لـ (أكرم) !

أشارت (مشيرة) إلى زوجها فى توتر ، قائلة :

ـ ولكنه يستطيع أن يصف لنا ما حدث .. أعنى عندما يستعيد وعيه .

تطلّع بدوره إلى (أكرم) ، قائلاً :

ـ بإذن الله .

لم يكد ينطقها ، حتى فتح (أكرم) عينيه بغتة ، على نحو ارتجف له جسد (مشيرة) ، وهى تهتف :

ـ يا إلهى !

أما (نور) ، فقد حمل صوته انفعاله ، وهو يقول :

ـ رباه ! حمدًا لله على سلامتك يا صديقى .. لقد كنا ..

فجأة ، وقبل أن يتمّ (نور) عبارته ، وثبت أصابع (أكرم) ، لتنغرس فى ذراعه فى قوة ، وصاحبها يقول فى حدة :

ـ (نور) .. احترسوا .. الأنياب .. الأنياب يا (نور) .

سأله (نور) فى دهشة ، وهو يحاول تخليص ذراعه من أصابعه :

ـ أية أنياب يا (أكرم) ؟!

اتسعت عينا (أكرم) ، وازدادت أصابعه انغراسًا ، فى ذراع (نور) ، وهو يقول :



اتسعت عينا (أكرم) ، وازدادت أصابعه انغراسًا ، في ذراع (نور) ..

ـ إنها تنتظركم خلف الأبواب .. أنياب حادة قاتلة يا (نور) .

تساءل (نور) في انفعال :

ـ خلف الأبواب ؟! أية أبواب يا (أكرم) .. هل تقصد ..

ولكنه لم يتمّ تساؤله ، في هذه المرة أيضًا ..

فجأة ، تراخت أصابع (أكرم) كلها ، وانهار جسده مرة ثانية ، ليعود إلى غيبوبته العميقة ، تاركًا خلفه الحيرة ..

طن من الحيرة ..

بل أطنان ..

وأطنان ..

وأطنان ..

* * *

« ألم يوضّح الأمر أكثر ؟! »

ألقت (سلوى) سؤالها ، وهى تجلس مع (نور) و(نشوى) ، داخل مقر الفريق ، فى المبنى الملحق بالمخابرات العلمية ، فهزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- مطلقًا .. هذا كل ما قاله ، قبل أن يعود إلى غيبوبته العميقة ، التى لا يجد الأطباء وسيلة لإخراجه منها .

غمغمت (نشوى) فى توتر :

- ربما يقصد أنياب تلك الثعابين ، التى هاجمتكما ، فى قاع البئر !

هزّ (نور) رأسه ، قائلاً :

- وماذا عن تلك الأبواب ، التى تنتظرنا خلفها ؟!

قالت (سلوى) :

- ربما يشير إلى ذلك الباب الفولاذى .

مطّ (نور) شفتيه ، وهو يتمتم :

- ربما .

وصمت لحظة ، محاولاً إقناع نفسه بهذا التفسير ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، قائلاً :

- بمناسبة الحديث عن ذلك الباب الفولاذى .. ما الذى توصلوا إليه بشأنه ؟! لقد أسرعت إلى (أكرم) ، فور خروجى من ذلك المنجم ، ولم أتابع الموقف ..

أجابته (سلوى) :

- الخبراء يقولون إنه مدخل إلى سرداب طويل ، تم نسفه لإخفاء مساره ، منذ زمن طويل ، ولكنهم يسعون لتتبعه الآن ، ولقد تم فحص المنطقة كلها ، ويبدو أن هذين الوحشين ، اللذين لقيا مصرعهما ، فى تلك القاعة فى أعماق البئر ، كانا الوحيدين من نوعهما .

قال فى حزم :

- الأمر يحتاج إلى مزيد من الفحص والدراسة .

وافقته بإيماءة من رأسها ، قائلة :

- مركز الأبحاث كله يفعل هذا ، والدكتور (حجازى)

مع الخبيرة البيولوجية (هناء) ، يقومان بدراسة جثث الوحشين ، وفحص كل البقايا ، التى تم العثور عليها ، داخل تلك القاعة .

سألها فى اهتمام :

ـ وكم سيستغرق هذا تقريبًا ؟!

أجابته (نشوى) هذه المرة :

ـ (هناء) أخبرتنى أنها تستطيع تزويدنا بنتائج إيجابية ، خلال ثلاث ساعات فحسب ، أما الدكتور (حجازى) ، فسينتهى من فحص ما لديه ، خلال ساعة واحدة .

أومأ برأسه ، متمتمًا :

ـ عظيم .

ثم سألها فى اهتمام أكثر :

ـ وماذا عن (رمزى) ؟!

تنهدت (نشوى) فى عمق ، مجيبة :

ـ سيتعافى قريبًا جدًا بإذن الله .

التقط نفسًا عميقًا ، وجذب مقعدًا ليجلس ، قائلاً :

ـ دعونا إذن ندرس ما أصاب (أكرم) ، فى أثناء انتظارنا لنتائج أبحاث الدكتور (حجازى) ، والدكتورة (هناء) .

قالت (نشوى) :

ـ ليس لدينا أى تفسير فى الوقت الحالى ، سوى أن أجهزة ذلك الدجال ، الذى ادعى قدرته على تحضير الأرواح ، كانت عبارة عن جهاز تحليل البصمات الجينية ، بالإضافة إلى أحد أجهزة الذبذبة فوق الصوتية الفائقة ، مع بعض الأجهزة الأخرى ، المتصلة بشبكة المعلومات ، واللازمة لإحداث بعض التأثيرات الخداعية اللازمة ، لإيهام الضحية بقدرته على استحضار الأرواح .

أشار (نور) بيده ، قائلاً :

ـ أيًا كانت ماهية تلك الأجهزة ، فقد أعادت (أكرم) بوسيلة ما ، من مكان خارج حدود عالمنا .

تساءلت (سلوى) :

ـ ولماذا الجزم بأنه كان خارج حدود عالمنا ؟!

أجابها في سرعة :

ـ ألديك تفسير آخر ، لخروجه من دوامة عجيبة بالجدار ؟!

ترددت لحظة ، ثم قالت في حذر :

ـ ليس في هذه اللحظة .

أشارت (نشوى) بيدها ، قائلة :

ـ أما أنا ، فأتفق مع تفسير أبي للأمر ، مع توضيح علمي .

التفت إليها الاثنان في اهتمام ، فتابعت :

ـ أعتقد أن (أكرم) كان في مكان ما ، خارج عالمنا بالفعل ، وهذا يتفق مع اختفائه الغامض ، وما تركه خلفه من أدلة عجيبة ، مثل حزام أمان مقعده المربوط ، وسيارته المغلقة من الداخل ، وعندما استخدم ذلك الجهاز

بصمته الجينية ، وأضافها إلى أجهزة الذبذبة فوق الصوتية ، صنع دون أن يدري جهازًا للتعقب عبر الأبعاد ، أو عبر العوالم .. جهاز يبحث عن بصمة (أكرم) الجينية ، في كل بعد ممكن ، حتى عثر عليه ، فجذبه إليه ، من أي مكان كان فيه .

ارتفع حاجبا (سلوى) في دهشة ، وهي تحدق إليها ، قبل أن تلتفت إلى (نور) ، قائلة :

ـ ابنتنا عبقرية يا (نور) .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ هذا من دواعي فخري .

استدارت إليها (سلوى) ، وهتفت :

ـ هذا التفسير منطقي للغاية يا (نشوى) ، ويمكن أن يفيدنا ، إلى حد لا يمكنك تصوره .

أجابتها (نشوى) في حماسة :

ـ بالتأكيد .. إنه يضيف نظرية جديدة ، إلى العلوم المعاصرة الحديثة .

قالت (سلوى) :

- ليس هذا فحسب ، ولكنه ، مع بعض التطوير ، سيمنحنا القدرة على كسر حواجز الأبعاد ، وإيجاد وسيلة للتنقل بينها .

ارتفع حاجبا (نشوى) ، وهى تهتف :

- رباه ! فكرة عبقرية رائعة يا أمى .. لابد أن ندرس أجهزة ذلك المحتال فوراً .

ضغط (نور) زر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى حزم :

- سأستصدر فوراً أمراً بإلقاء القبض عليه ، ومصادرة كل هذه الأجهزة ، و ....

قبل أن يتمّ عبارته ، انبعث أزيز جهاز الاتصال الخاص ، مع صوت الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- (نور) .. هل تسمعنى ؟!

أبطل (نور) عمل جهاز الاتصال العام ، وضغط زر جهاز الاتصال الخاص ، قائلاً فى اهتمام :

- أسمعك بالتأكيد يادكتور (حجازى) .. ماذا لديك ؟!

بدا صوت كبير الأطباء الشرعيين مفعماً بالتوتر ، وهو يقول :

- لن تصدقوا ماكشفته الفحوص يا (نور) .. إنه أمر عجيب .. عجيب للغاية ..

وكان هذا يعنى أنه عليهم ترك كل شىء خلفهم ، والعودة مرة أخرى لعملية الثعابين .. فوراً ..

* * *

تألقت عينا الضخم فى شدة ، وهو يدلف إلى تلك الزنزانة البدائية ، تحت أحد المبانى القديمة ، وألقى نظرة على الشاب الذى نهض من داخلها فى توتر ، قائلاً فى مقت :

- أنت ؟!

أجابه الضخم ، فى لهجة غلب عليها التشفى :

- نعم .. أنا .

حاول الشاب أن يجذب تلك القيود المعدنية ، التى تربط يده اليسرى بالجدار وهو يقول :

ـ ماذا تريد منى ، أكثر مما فعلت بى ؟! لقد سجلتنى هنا ، منذ عامين أو يزيد ، دون أى مبرر قانونى .

أجابه الضخم فى شماتة :

ـ ألا يكفيك أنك ابن أحد ألد أعداء وطننا ؟!

قال الشاب فى غضب :

ـ هذا لا يمنحك الحق .

انطلقت من حلق الضخم ضحكة عالية مجلجلة ، وهو يقول :

ـ الحق ؟! عن أى حق تتحدث يا هذا .. ألست أنت من أيد العرب ، عندما انتصروا علينا ؟!

أجابه الشاب فى صرامة غاضبة :

ـ كانوا على حق ، ونحن تجاوزنا كل قواعد العقل والمنطق ، وكل حدود الآدمية والرحمة .

صاح الضخم :

ـ هذا حقنا .

هتف الشاب :

ـ لا أحد فى الدنيا لديه الحق ، فى قتل وتدمير الآخرين بلا رحمة ، والاستيلاء على أرضهم بالقوة .

لوّح الضخم بقبضته ، قائلاً :

ـ القوى له كل الحق .. هذا هو قانون العالم .. البقاء للأقوى .. دائمًا .

ارتسمت ابتسامة ساخرة عصبية ، على شفتى الشاب ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟! لماذا يغضبك انتصار العرب علينا إذن ؟!

لقد أصبحوا أكثر قوة منا ، والقواعد هى القواعد .

احتقن وجه الضخم ، وهو يقول :

ـ مازلت كما أنت ، على الرغم من أن أمك من جنسنا ، وهذا يجعلك أيضًا من جنسنا .

قال الشاب فى صرامة :

ـ ربما .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى قوة :

ـ ولكن الدماء التى تسرى فى عروقى هى دماء أبى .. ودماء مصرية مائة فى المائة .

احتقن وجه الضخم أكثر ، وهو يقول :

ـ غبى .

ثم مرّر يده على شعره الأشيب القصير ، متابعًا :

ـ ولكننى اتخذت كل ما يلزم ، لتدمير سيرتك تمامًا ،

بحيث لا يصبح والدك نفسه فخورًا بك ، وبخاصة فى منصبه الجديد ، كمستشار أمنى خاص ، للرئيس المصرى .

غمغم الشاب فى مقت :

ـ أيها الوغد .

تألقت عينا الضخم ، فى جذل وحشى ، وهو يقول :

ـ منذ تم اعتقالك هنا ، يعمل آخر باسمك وهويتك ، باعتباره صهيونيًا متطرفًا ، ويقود عصابة صهيونية قوية ، تنشر الخراب والدمار هنا وهناك ، وتسيل لها الدماء العربية أنهارًا ، وكل هذا يحمل توقيعك .

هتف الشاب فى غضب :

ـ أيها الحقير .

تابع الضخم ، بنفس الجذل المتشفى :

- ليس هذا فحسب ، ولكننى استخدمت جيناتك ؛ لإنتاج الجيل السادس من ثعابيننا ، وأوصيت بأن تصبح كلها نسخة طبق الأصل من هيئتك الخارجية ، بحيث يكون لها التأثير المطلوب ، عندما أرسل أفضلها للقضاء عليه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، تألقت معه عيناه فى شدة ، وهو يضيف .

- للقضاء على والدك .

قالها ، ثم انطلقت من حلقه مرة أخرى ضحكة عالية مجلجلة ..

ضحكة وحشية ..

وشرسة ..

وشريرة ..

إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

« هذه الأشياء ليست آخر المطاف يا (نور) .. »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة فى حزم ، وهو يشير إلى بقايا جثة أحد الوحشين نصف الآدميين ، فسأله (نور) فى اهتمام :

- وما الذى يعنيه هذا بالضبط ، يا دكتور (حجازى) ؟!

أجابه الطبيب الشرعى فى اهتمام :

- هذه الأشياء نتاج تجارب معملية بيولوجية ، حول هندسة الوراثة ، استهدفت ، فى سبعينات القرن العشرين ، إنتاج كائنات جديدة ، هى مزيج من البشر والثعابين ، وما لدينا هنا ، هو نتاج ثلاثة أجيال متعاقبة من تلك التجارب ، فشل الجيل الأول منها فشلاً ذريعًا ، وحقق الجيل الثانى نتائج محدودة غير مبشرة ، ثم جاء الجيل الثالث ، على هذا النحو البشع المخيف .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتساءل فى حذر :

- هل تعنى أنهم لم يقصدوا إنتاجها ، على هذه الهيئة ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة :

- بالتأكيد .. فمن الواضح أن الهدف الفعلى هو إنتاج كائنات ، لها هيئة البشر ، وقدرات الثعابين ، ولكن من صنعوا هذا الجيل الثالث ، ذى الخلقة البشعة ، لم يمكنهم التحكم فى ترتيب الجينات وأنواعها ، ربما لأنهم قد أجروا تجاربهم ، قبل إعلان خريطة (الجينوم البشرى) ، فى أواخر القرن العشرين ، وأوائل القرن الحادى والعشرين(*) ، أما الآن ، فمن المستحيل أن يكونوا قد توقفوا عن متابعة تجاربهم ، فى ظل التقدم العلمى المدهش ، فى مجال هندسة الوراثة .

(*) خريطة الجينوم البشرى : هى خريطة كاملة للجينات البشرية ، بوظائفها وأماكنها ، بحيث يمكن بوساطتها التحكم فى نوع الصفات الوراثية ، التى يتم نقلها ، من كائن إلى آخر ، أو فى حذف وإضافة أية جينات محدودة ، لتحسين النسل ، فى أجيال تالية .

حدق (نور) فى جثة الكائن البشع ، وهو يقول :

- إذن فمن المحتمل جداً ، أن يكون هناك جيل رابع .

أشار الدكتور (حجازى) بسبابته ، قائلاً فى حزم :

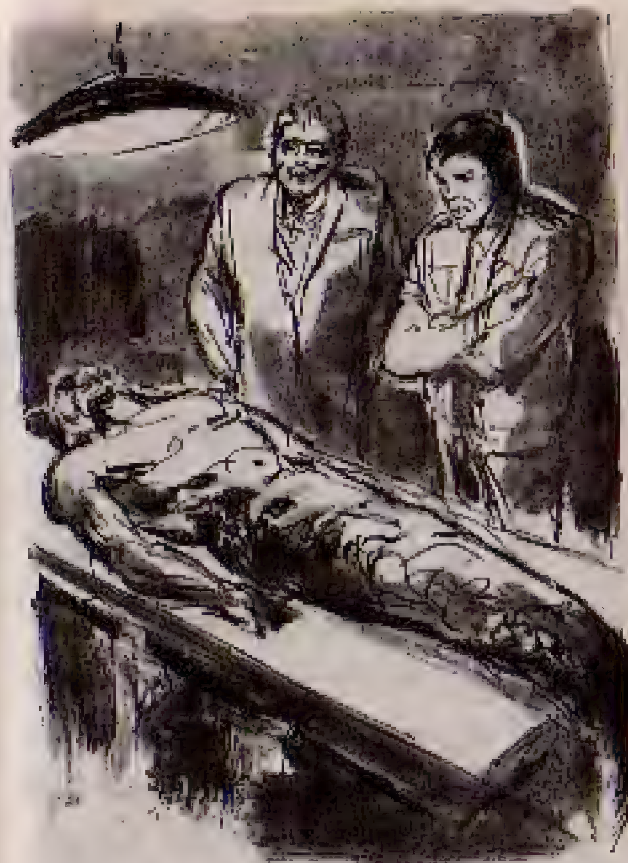
- وربما خامس أيضاً .

عاد (نور) يتطلع إلى الجثة الرهيبة ، قبل أن يتساءل :

- ولكن كيف بقيت تلك المخلوقات الحركية على قيد الحياة ، طوال كل هذه السنين ؟!

أجابه فى اهتمام :

- لقد بقيت لأنها اكتسبت صفة العمر من البشر ، مع قدرة الثعابين على البيات الشتوى الطويل ، ولقد تغذت طوال الوقت ، على جثث بعضها ، ومن حسن الحظ أن من أجرى التجارب استخدم الذكور فقط ،



حدق (نور) فى جثة (الكائن) البشع ، وهو يقول :
- إذن فمن المحتمل جدًا ، أن يكون هناك جيل رابع ..

مما حرمها القدرة على التناسل والتكاثر ، وإلا لامتلأ بها العالم كله .

غمغم (نور) :

- أو لالتهمت هى العالم كله .

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالضبط .

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يحاول استيعاب الأمر ، قبل أن يقول :

- ترى أين يمكن أن ....

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص فى ساعته ، فرفعه إلى شفتيه فى سرعة ، وهو يضغط زره ، قائلاً :

- المقدّم (نور) .

أتاه صوت ابنته (نشوى) ، وهى تهتف :

- أبي .. إنني أتحدث إليك من مقر ذلك المحتال ، الذي ادعى قدرته على تحضير الأرواح .

سألها في اهتمام :

- وهل فحصت أجهزته ؟!

أجابته في سرعة وانفعال :

- لن تصدق ما وجدته هنا .

وعندما أخبرته بما وجدته ، ارتفع حاجباه في دهشة .

فالأمر كان عسيرًا عن التصديق ..

بحق ..

* * *



٤ـ أرض المعركة ..

سبح جسد (أكرم) في ذلك الفراغ اللانهائي ، وصفت حواسه ومشاعره كلها ، وهو يتطلع في شغف إلى تلك الألوان المبهرة ، التي تسيل وتمتزج من حوله ، في مشهد لم ير ما هو أبدع منه ، في حياته كلها ، حتى إن كيانه كله قد استرخى في ارتياح ، و ....

« حمدًا لله على عودتك سالمًا يا صديقي .. »

تسلل صوت (محمود) إلى أذنيه ، ناعمًا هادئًا ، على نحو جعله يفتح عينيه ، ويلتفت إليه ، وإلى ابتسامته العذبة ، هاتفًا :

- (محمود) .. أنت هنا ؟!

اتسعت ابتسامة (محمود) وهو يقول :

- إنه عالمي الآن يا صديقي .

تسلل شعور من الحرارة والأسى ، إلى أعماق (أكرم) ، وهو يقول :

ـ كان من الممكن أن تعود معى يا صديقى .. كان يمكننى أن أجذبك إلى عالمنا ، ولكننى لطمتك .. أنا منعتك من العودة .

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً فى هدوء :

ـ لا تلم نفسك يا صديقى .. لم يكن هذا ليفلح .

هتف (أكرم) :

ـ ولكنه أفلح معى .

أشار (محمود) بسبابته ، قائلاً :

ـ لأنه كان موجهًا إليك .

سأله (أكرم) فى حيرة :

ـ هل تعنى أنك لو بقيت متشبثًا بذراعى ، لما عدت معى إلى هنا ؟!

هزّ (محمود) كتفيه ، قائلاً :

ـ من يدرى ؟!

ثم استدرك بسرعة :

ـ ولكنك كنت أنت المقصود بهذا .

هتف (أكرم) :

ـ ولماذا أنا ؟!

قال (محمود) :

ـ هذا ما عليكم أن تبحثوه جيدًا .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ وهل تعتقد أننا لو فعلنا ، سنجد وسيلة لاستعادتك ؟!

مطّ (محمود) شفتيه ، قائلاً :

ـ ربما .. من يدرى ؟!

تهللت أسارير (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! هذا أمر رائع يا (محمود) .. سنبذل قصارى

جهدنا .. أعدك أن أخبر الجميع ، وهم لن يتوانوا لحظة واحدة ، عن السعى لاستعادتك .

تمتم (محمود) :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم اكتسى صوته بجدية قلقة ، وهو يضيف :

ـ ولكن هذا ليس المهم الآن .

سأله (أكرم) فى قلق :

ـ وماذا أكثر أهمية منه ؟!

أجابه فى حزم :

ـ حياة (نور) والآخرين .

تذكر (أكرم) فجأة ذلك المشهد البشع ، الذى رآه هناك ، فى ذلك الفراغ الزمنى ، وهتف :

ـ رباه ! هذا صحيح لابد من إنقاذهم بأى ثمن .. بأى ثمن يا صديقى .

أشار إليه (محمود) ، قائلاً فى حزم :

ـ ربما أعادك القدر إليهم ؛ لتقوم بهذه المهمة .. إنها مسئوليتك الآن يا (أكرم) ..

« مسئوليتك يا (أكرم) .. »

« مسئوليتك .. »

« مسئوليتك .. »

ترددت الكلمة ، وجسد (محمود) يتراجع ويبتعد ، وسط الفراغ الشاسع ، فهتف (أكرم) ، وهو يحاول اللحاق به :

ـ إلى أين تذهب .. ابق معى .

ولكن الصوت واصل تردده ، على الرغم من اختفاء جسد (محمود) فى الفراغ ..

« مسئوليتك يا (أكرم) .. »

« مسئوليتك .. »

« مسئوليتك .. »

ثم استيقظ عقله كله دفعة واحدة ..

وانفتحت عيناه عن آخرهما ..

وعلى نحو عجيب ، حدق في وجه (مشيرة) ، التي احتضنته في لهفة ، هاتفة :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

سألها في توتر :

ـ أين أنا ؟!

اعتدلت تمسح دموعها ، وهي تجيبه في سعادة :

ـ في المستشفى العسكري .. لقد أرسلت في طلب الطبيب ، لأنك كنت تهذي بكلمات عجيبة ، ولكنني فوجئت بك تستعيد وعيك ، قبل أن يصل .

سألها في توتر شديد :

ـ وما الذي كنت أهذي به ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

ـ أشياء عديدة غير مترابطة .. (محمود) .. و(أنياب رهيبة) .. وأبواب .. وفراغ .. و....

قاطعها ، وهو يهب جالسًا على طرف الفراش ، هاتفًا :

ـ يا إلهي ! يا إلهي !

اندفع الطبيب إلى الحجرة ، في تلك اللحظة ، وحدق فيه لحظة بدهشة ، قبل أن يعاود اندفاعه نحوه ، هاتفًا :

ـ سيد (أكرم) .. حمدًا لله على سلامتك .. لقد تصورنا أن ....

قاطعه (أكرم) في صرامة ، وهو ينتزع كل الأسلاك والأنابيب الطبية من جسده ، قائلاً :

ـ لابد أن أغادر هذا المكان فورًا .

اتسعت عينا (مشيرة) ، وهي تهتف في ذعر مستنكر :

ـ تغادر ماذا ؟!

أما الطبيب ، فقد بدت عليه الدهشة لحظة ، ثم لم تلبث أن تحولت إلى صرامة غاضبة ، وهو يقول :

- أى قول هذا يا سيد (أكرم) ؟! إنك لا تستطيع مغادرة هذا المكان ، بأى حال من الأحوال .

قال (أكرم) فى صرامة ، وهو ينهض من الفراش :

- حاول أن تمنعنى من هذا .

هتف به الطبيب :

- حاول أنت أن تستوعب الموقف .. لقد اختفيت لعدة أيام ، ثم عدت بأسلوب غامض عجيب ، وفقدت الوعى لسبب مازلنا نجهله ، وفى مثل هذه الحالات ، لن يُسمح لك أبدًا بـ ....

قاطعه (أكرم) ، وهو يزيحه جانبًا ، فى خشونة صارمة :

- دعنا نختبر هذا .

صاح الطبيب ، وهو يتراجع مرغمًا :

- أيها الحرّاس .

لم تكد صيحته تنطلق ، حتى فوجئ (أكرم) بحارسى أمن يقتحمان حجرته ، وأحدهما يصوّب إليه سلاحه ، هاتفًا :

- إلى أين يا سيدّ (أكرم) ؟!

صاح به (أكرم) فى غضب :

- اغرب عن وجهى يا هذا .. سأغادر المكان فورًا .. هناك أمور خطيرة جدًا ، تحتاج إلىّ فى الخارج .

هتفت (مشيرة) فى ضراعة :

- (أكرم) .. أرجوك .

أما الحارس ، فقال فى صرامة :

- ليس هذا من شأنى .. الأوامر هى الأوامر .

صاح به (أكرم) فى غضب :

- الأوامر ؟! هل تعرف أكثر ما أبغضه فى حياتى .. إنها الأوامر .

أجابه الحارس فى حدة :

- ولكننى رجل أمن ، ومضطر لطاعتها .

صاح (أكرم) ، وهو ينقضّ عليه بغتة :

- ولكننى لست مضطرًا لهذا .

صرخت (مشيرة) فى ذعر ، فى نفس اللحظة التى هوى فيها (أكرم) ، على فك الحارس ، بلكمة قوية ، ثم وثب منقضًا على الحارس الثانى ، الذى تراجع فى سرعة ، هاتفًا :

ـ لماذا يا سيد (أكرم) ؟!

فى الظروف العادية ، كان من السهل على (أكرم) أن يهزم الرجلين ، فى قتال سريع عنيف ..

ولكنه لم يكن قد استعاد كامل قوته بعد ..

أو كامل وعيه ..

لذا فقد تفادى الحارس الثانى انقضاضته فى مهارة ، ثم هوى على فكه بكعب بندقيته ، هاتفًا :

ـ أنت رجل أمن مثلنا .

دفعت الضربة (أكرم) إلى الخلف فى عنف ، وألقته على ظهره أرضًا ، و(مشيرة) تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

ومع صرخاتها ، حاول (أكرم) النهوض ، ولكن الحارس الأول سبقه إلى هذا ، وهب واقفًا على قدميه ، قائلًا :

ـ سامحنا أيها الزميل .

ومع قوله ، هوى بقبضته على مؤخرة عنق (أكرم) ، الذى ارتج كيانه فى قوة وعادت الدنيا تظلم أمام عينيه ..

ثم سقط ..

وفقد وعيه مرة أخرى ..

للأسف ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدير عينيه فى القاعة الصغيرة ، التى تم تدمير كل ما تحويه من أجهزة بمنتهى العنف ، قبل أن يلتفت إلى (نشوى) ، متسائلًا :

ـ لماذا فعل هذا ؟!

أجابته في غضب :

ـ لست أدرى .. يبدو أنه تصوّر أن هذه الأجهزة تمثل دليلاً لإدانته ، فحطمها كلها ، قبل أن يفرّ .

سألها (نور) في دهشة :

ـ هل نجح في الفرار ؟!

أجابته (سلوى) :

ـ عندما وصل رجال الأمن إلى هنا ، لم يجدوا له أدنى أثر .

وأضافت (نشوى) :

ـ ولكن هنالك نشرة إليكترونية بأوصافه ، في كل المطارات والموانئ ، وطرق السفر ، وبصمته الجينية موزّعة على كل أجهزة الأمن ، وسيتم إلقاء القبض عليه حتمًا ، في أسرع وقت ممكن .

عاد يتطلّع إلى الأجهزة المحطمة ، متسائلاً :

ـ وماذا عن هذه الأجهزة ؟! هل يمكننا أن نعيد بناءها ؟!

تنهّدت (نشوى) ، وهزّت رأسها ، قائلة :

ـ هذا يحتاج إلى وقت طويل ، ولكنني أشكّ في أن تنجح في هذا ، بعد أن أتلف الدوائر الرئيسية كلها .

مطّ (نور) شفتيه ، مغمغمًا :

ـ يا للخسارة !

أجابته (سلوى) ، وهي تربّت على كتفه :

ـ لقد وضعنا على أوّل الطريق على الأقل .

غمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضمّها إليه في رفق ، قائلاً :

ـ لقد بذلنا جهدًا مضنيًا ، خلال الساعات الماضية ، وأظن أننا بحاجة إلى بعض الراحة .

أراحت (سلوى) رأسها على كتفه القوية ، مغمغمة :

ـ بالتأكيد .

ابتسمت (نشوى) ، وهى تتطلع إليهما ، ثم قالت :

- أنا أيضًا بحاجة إلى بعض الراحة .. سأذهب إلى المستشفى ؛ لأطمئن على موقف (رمزى) ، ثم أحضر الصغيرين من منزل مربيتهما ، وأعود إلى منزلى بنورى .

وافقها (نور) بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- هذا أفضل للجميع .

ألقت (نشوى) عليهما التحية ، وأسرعت تغادر المكان إلى سيارتها ، وهى تغمغم مبتسمة :

- ليس هناك ما هو أفضل من أبوين متحابين .

وثبت داخل سيارتها ، وأدارت محركها ، وانطلقت بها إلى المستشفى ، وعقلها يعيد دراسة الموقف كله ..

(أكرم) كان خارج عالمنا حتمًا ..

شىء ما ، أو قوة ما انتزعته من داخل سيارته ، وهو

فى طريقه إلى ذلك الحقل المحدود ، فى منزل والدها ، وألقى به إلى عالم آخر ..

بُعد آخر ..

أو زمن آخر ..

أو حتى وجود آخر ..

ثم امتزجت أجهزة ذلك المجال ، على نحو عشوائى محض ، لتجلبه من ذلك العالم ، وتعيده إلى عالمنا ..

وهذا يتعلّق حتمًا ببصمته الجينية ..

هناك بالتأكيد رابطة ما ، تربط بين المرء وكيانه ، مهما تباعدت المسافة بينهما .. ومهما كان نوعها ..

كان عقلها العبقرى يدرس المعطيات ؛ للبحث عن وسيلة لتطبيقها ، من خلال اختراع جديد ، يضاف إلى قائمة اختراعاتها ، حتى إنها بلغت المستشفى ، وهى مازالت شاردة ، واتجهت فى آلية إلى حجرة (رمزى) ، التى فوجئت بنفسها أمامها ، فضحكت فى ارتباك ، قائلة :

ـ آه .. الآن أدركت لماذا كانوا يصفون (فينشتين) دائمًا بشرود الذهن .

دفعت باب حجرة (رمزى) ، وهى تبتسم فى مرح ، و ....

وفجأة ، تسمّرت هناك ، والتقى حاجباها فى شدة ، وهى تحدّق فى ذلك الشخص ، الذى انحنى على عنق زوجها الفاقد الوعى ، على نحو لم يرق لها قط ..

وبكل توترها ، هتفت :

ـ من أنت ؟! وماذا تفعل هنا ؟!

اعتدل ذلك الشخص بحركة حادة ، واستدار إليها فى شراسة ، هو يطلق زمجرة مخيفة ، مكشرًا عن أنيابه ..

وشهقت (نشوى) فى رعب هائل ، عندما اخترقت أذنيها تلك الزمجرة ، الممتزجة بفحيح مخيف ، ووقع بصرها على تلك الأنياب الطويلة الحادة ، فى فكى ذلك الشخص ..

وفى تلك اللحظة فقط ، انتبهت إلى جثة الحارس ، الذى لم تنتبه إلى وجوده ، أمام حجرة (رمزى) ..

كان ملقى هناك ، فى ركن الحجرة ، جاحظ العينين ، مسود الوجه ، على نحو مخيف ..

وبكل رعبها ، أطلقت (نشوى) صرخة رعب هائلة ، و ....

وانقض الثعبان الآدمى ..

وبكل وحشية الدنيا ..

* * *

ارتسمت ابتسامة شريرة على شفتى الأصلع ، وهو يلوّح بأنبوب اختبار صغير فى يده ، قائلاً :

ـ العينة البشرية مثالية .. أظننا سنحصل على جيل سادس مدهش .

تألقت عينا الضخم ، وهو يقول :

ـ لو ورثت جينات والد صاحب العينة وقدراته ،

ستصبح أسلحة رهيبة ، لاقبل للعالم كله بمواجهتها .

وافقه الأصلع بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

ـ نتفهّم هذا .

ثم أشار بسبّابته ، مستطرداً :

ـ ولكن تلك القدرات ليست وراثية ، إنها مهارات مكتسبة ، والمكتسبات لا تورّث[*] .

انعقد حاجبا الضخم ، وهو يقول في صرامة :

ـ فلنعمل على إكسابهم إياها إذن .

قال الأصلع في حذر :

ـ سنبذل قصارى جهدنا ، ولكن هذا لن يكون بالأمر السهل .

قال الضخم ، في صرامة أكثر :

ـ لا شيء في الوجود بالأمر السهل .

(*) حقيقة .

ثم هبّ من مقعده ، متابعاً :

ـ لقد قاتلنا كالوحوش ، طوال ما يزيد على نصف القرن ، لنضع اسمنا على خريطة العالم ، ولنقفز إلى قمته ، ونتفوق حتى على (أمريكا) الغبية ، التي لم تتصورْ أن نسعى لهدمها ، بعد أن ظلت تساعدنا طوال الوقت ، على حساب مصداقيتها وسمعتها العالمية ..

كل شيء في الوجود استبحناه وفعلناه ، دون النظر إلى أية قواعد أو قيم سخيفة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد ساعدت الظروف أولئك العرب على دحرنا في النهاية .

قال الأصلع في حذر أكثر :

ـ من حسن حظنا أنهم كانوا من الكرم ، بحيث سمحوا لنا بالبقاء ، في قطاع صغير من الأرض .

استدار إليه الضخم في حدة ، هاتفاً :

ـ بل قل : كانوا من الحماقة ، بحيث سمحوا لنا بالبقاء .

ثم تألقت عيناه فى وحشية ، وهو يلوّح بقبضته ، مضيفًا :

ـ وسيدفعون ثمن هذا الخطأ غاليًا .

تطلّع إليه الأصلع بضع لحظات فى صمت ، قبل أن يقول :

ـ من الواضح أنك تبغضهم كل البغض .. تمامًا كسلفك الذى ..

قاطعه بصيحة هادرة :

ـ لا تنطق اسمه .

تراجع الأصلع فى دهشة ، وهو يقول فى توتر :

ـ أنا لم أنطق اسمه .

لوّح الضخم بسبّابته فى وجهه ، قائلاً فى غضب صارم :

ـ ولا تحاول أن تنطقه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، ولهث بضع لحظات ، من

فرط البداءة والانفعال ، حتى إنه عاد إلى مقعده ليلتقط أنفاسه ، قبل أن يقول :

ـ العرب يتصوّرون أنها نهايتنا ، ولكننا سنثبت لهم أننا قادرون على النهوض من كبوتنا يومًا ، واستعادة مكانتنا على القمة ، عندما تحين اللحظة المناسبة .

غمغم الأصلع ، محاولاً إنهاء الموقف :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. بالتأكيد .

ثم عاد يلوّح بأنبوب الاختبار ، متسائلاً :

ـ والآن ، بالنسبة للتجربة .. متى سنبدأ فى إنتاج الجيل السادس ، من مشروع (الثعبان) ؟!

هتف به الضخم فى غضب :

ـ ألم تبدءوا بعد ؟!

هزّ الأصلع رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ إصدار مثل هذا القرار ، لايدخل ضمن نطاق سلطاتى .

ضرب الضخم سطح مكتبه براحته ، وهو يهتف في حدة :

ماذا تنتظر إذن ؟!

قال الأصلع ، في حذر متحفز :

- أوامرك .

لوّح الضخم بذراعه كلها ، هاتفًا :

- ابدأ فورًا يا رجل .. مشروع طويل كهذا ، لا يجب أن نضيع منه لحظة واحدة .

تردد الأصلع لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويقول :

- ليس أوامر شفهية يا سيدى .

انعقد حاجبا الضخم في غضب ، وهو يرمقه بنظرة نارية ، فتابع الأصلع في توتر :

- إنها مسئولية ضخمة .

مطّ الضخم شفتيه في غضب مشمئز ، ثم جذب ورقة

من على مكتبه ، وخطّ عليها أمرًا ببدء مشروع إنتاج الجيل السادس من مشروع (الثعابين) ، وذيّله بتوقيعه ..

وكان هذا إيذانًا بإنتاج أقوى سلاح عرفته الأرض ..

سلاح نصف بشرى ..

ونصف ثعباني ..

* * *

تثاءبت (سلوى) في إرهاق ، وهي تحاول الاسترخاء ، داخل سيارة (نور) ، وغمغمت وهي تسبل جفنيها في تهالك :

- لقد كنت على حق يا (نور) .. نحن بحاجة إلى قدر من الراحة .

تمتم ، وهو يربّت على رأسها في حنان :

- إننا بشر .

لاح منزله من بعيد ، فزاد من سرعة السيارة بحركة

غريزية ، وهو يتجه بها إليه ، ولم يكد يتوقف أمام الحديقة ، حتى قال فى خفوت :

- وصلنا يا (سلوى) .

فتحت عينيها فى تكاسل وتهالك ، مغمغمة :

- حقاً ؟!

ثم غادرت السيارة معه ، وتثاءبت مرة أخرى ، قائلة :

- الآن فقط أدركت شعور أولئك ، الذين يقبلون أرض الوطن ، عند عودتهم إليه ، بعد مرحلة شاقة .

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- من حسن الحظ أننا مازلنا على أرض الوطن .

التقطت أذنا الثعبان الآدمى فى الداخل حوارهما ، فتحفزت كل خلية فى جسده ، وتأهب كيانه كله ، وتألقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يكشر عن أنيابه الحادة الطويلة ، ويتحرك فى سرعة نحو الباب ..

ثم ينتظر ..

كان يرهف سمعه جيداً ، ليتابع وقع أقدامهما ، وهما يقتربان من المنزل ..

ويقتربان ..

ويقتربان ..

وفى سرعة ، راحت نواجذه تنتفخ ، بكل السم الذى أفرزته غدده للعملية المتطورة ، والذى راح يتجمع استعداداً لبثه فى جسدى (نور) و(سلوى) ، فور دخولهما إلى المنزل ..

كان يعلم أن السم يفرزه ، والذى يختلف تماماً عما كانت تفرزه غدد أفراد الجيل الخامس ، يحتاج إلى الدخول فى الدم مباشرة ..

وهذا يعنى حتمية الانقضاض ..

وغرس الأنياب فى الأوردة العنقية ..

مباشرة ..

ومرة أخرى ، كشَّر عن أنيابه الحادة ، وهو يقترب من الباب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

أما (نور) و(سلوى) ، فقد بلغا الباب ، وابتسمت هى فى إرهاق ، قائلة :

ـ ألن تفحص جهاز الإنذار الإليكترونى ، قبل أن تفتح الباب ؟!

تنهَّد وهو يخرج بطاقته الممغنطة ، قائلاً :

ـ إنى مرهق بما يكفى ، لتجاهل هذه الخطوة .

ثم سألها ، وهو يدس بطاقته ، فى التجويف الخاص بها ، فى رتاج الباب :

ـ هل يمكنك أنت ؟!

هزت رأسها ، وهى تضحك ، قائلة :

ـ كلاَّ بالتأكيد .

كانت تشعر مثله بإرهاق عنيف ، مع كل ما بذلاه طوال الساعات الماضية ، ومنذ هبطت بهم الحوامة ، على مسافة أمتار قليلة من المنجم القديم ، ومع الانفعال الجارف ، الذى ظلَّ يعصف بنفسيهما ، خلال الساعات التالية لذلك ..

ومع إضاءة المصباح الأخضر ، سألها (نور) فى اهتمام :

ـ هل عثروا على تلك الأجهزة ، التى توحى بوجود أعداد ضخمة من الوحوش ، فى كل مكان حول المنجم ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ ليس هذا فحسب ، وإنما وجدوا أيضًا أجزاء إليكترونية خاصة فى جدران المنجم ، للإيحاء بحدوث تلك التحركات ، التى رصدتها الأجهزة ، دون مصدر حرارى .

هزَّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أسلوب معقَّد للغاية ؛ لإخفاء الأمر كله .

قالها ، ودفع باب المنزل ..

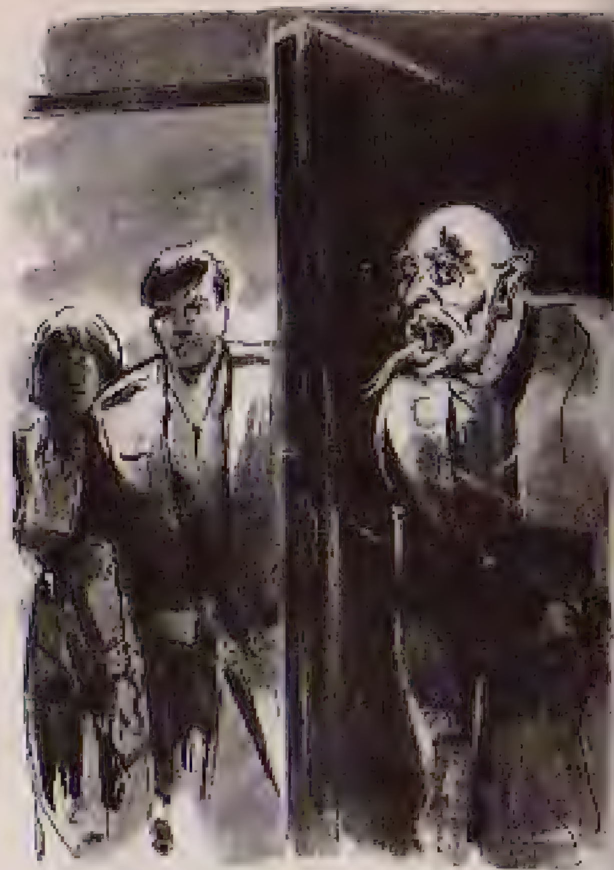
وتحفّز الثعبان الآدمي ..

واستعدّ للانقضاض على ضحيتيه ..

وبلا هوادة .

* * *





قالها ، ودفع باب المنزل .. وتحفز الثعبان الآدمي ..
واستعد للانقضاض على ضحيتيه ..

٥ـ الأنياب القاتلة ..

« سامحنا يا سيِّد (أكرم) .. » ..

نطق مدير أمن المستشفى العسكرى العبارة ، وهو يتطلَّع إلى (أكرم) ، الذى استعاد وعيه فى فراشه ، وشعر بالقيود التى تربطه إليه ، فقال هذا الأخير فى غضب :

ـ هل يمنحك القانون حق تقييد رجل مخابرات يا هذا ؟!

هزَّ الرجل رأسه ، قائلاً فى أسف :

ـ إننى أحاول إجبارك على تنفيذ الأوامر فحسب ، يا سيِّد (أكرم) .

صاح به (أكرم) فى ثورة :

ـ ليس هذا من حقك .

شعرت (مشيرة) بمزيج من التوتر والحنق ، وهى تلتفت إلى مدير الأمن ، قائلة فى عصبية :

ـ إنه على حق .. هذا ليس من حقك .

هزَّ الرجل كتفيه ، قائلاً :

ـ ألديك بديل يا سيِّدة (مشيرة) ؟!

بحثت فى ذهنها عن أى جواب منطقى ، ولما لم تجد ، قالت فى عناد :

ـ يمكننى أن أحصل منه على وعد بالبقاء .

هتف الرجل ، فى دهشة مستنكرة :

ـ وعد ؟!

ثم التفت إلى (أكرم) ، وسأله :

ـ هل يمكنك أن تقطع على نفسك مثل هذا الوعد ؟!

غمزت بعينها لـ (أكرم) فى توتر ، محاولة إقناعه بقطع هذا الوعد ، ولكنه عقد حاجبيه فى صرامة ، قائلاً :

ـ كلاَّ .

راودها مزيج من القلق والمرارة ، وهى تهتف :

- (أكرم) ؟!

أجابها زوجها فى صرامة شديدة :

- لا يمكننى أن أعد بما لن يمكننى تنفيذه .

تطلع إليه الرجل لحظة ، قبل أن يشد قامته فى احترام ، قائلاً :

- وهذا ما أقترحه يا سيد (أكرم) .

قال (أكرم) فى حدة :

- ولكننى لن أحتمل هذا الأمر طويلاً .

سأله الرجل فى حذر :

- ألديك اقتراح آخر ؟!

أشار (أكرم) بيده الحرة ، قائلاً :

- اقترب ، وسأخبرك به .

تردد الرجل لحظة ، قبل أن يحسم أمره ، ويتجه إليه ، قائلاً :

- أريد منك أن تعلم أنه هناك رجلان مسلحان فى الخارج ، ومتحفزان لإطلاق النار عليك ، إذا ما حاولت الفرار مرة أخرى .

قال (أكرم) فى خشونة :

- أعلم هذا .

اقترب الرجل منه ، فأشار إليه (أكرم) بالميل نحوه ، واعتدل ، على نحو يوحى بأنه سيهمس فى أذنه ، فمال الرجل نحوه ، و ....

وفجأة ، وثبت يد (أكرم) الطليقة ، واختطفت مسدس الرجل من غمده ، ثم رفع فوهته إليه ، وهو يقول فى صرامة :

- ما رأيك بهذا الاقتراح ؟!

رفعت (مشيرة) شفتيها إلى فمها ؛ لتكتم شهقة كادت تنطلق من حلقها ، فى حين انعقد حاجبا مدير الأمن ، وهو يرفع ذراعيه ، ويتراجع معتدلاً ، ويقول فى غضب :

- لقد خدعتنى .

هزّ (أكرم) كتفيه ، قائلاً :

إننى لم أعد بالعكس .

مطّ الرجل شفتيه ، مغمغمًا فى حنق :

ـ هذا لا يليق برجل مخابرات .

أجابه (أكرم) فى حزم :

ـ بل هذا ما يناسب رجل المخابرات ، الذى يسعى لتحقيق مآربه ، بأية وسيلة كانت .

ثم انعقد حاجباه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ والآن ، حل قيد معصمى .

هزّ الرجل رأسه نفيًا فى قوة ، وهو يقول :

ـ محال .. إننى أفضل الموت .

لوّح (أكرم) بالمسدس فى وجهه ، قائلاً فى حدة :

ـ لا تحاول إغرائى بهذا .

هتفت (مشيرة) فى صوت عصبى خافت :

ـ (أكرم) .. إنك تورّط نفسك أكثر وأكثر .

أشار إليها فى صرامة ، قائلاً :

لا تشغلى نفسك بأمرى يا عزيزتى .. أنا أعرف ما أفعل ..

هتفت به :

ـ أنت لا تعرف شيئًا .. إنك لست عضو الفريق الوحيد ، الذى يرقد هنا .. لقد واجه الباقون شيئًا ما ، لم يفصح عنه (نور) كالمعتاد ، ولكنه أسفر عن إصابة (رمزى) ، الذى يرقد فى الطابق السفلى ، و ....

اتسعت عيناه ، وهو يقاطعها فى عصبية :

ـ (رمزى) هنا ؟

نطقها ، وذهنه يستعيد ذلك المشهد ، الذى رآه هناك ..

فى نهر الزمن ..

مشهد (نشوى) ، وهى تدخل حجرة يرقد فيها (رمزى) ..

حجرة مستشفى ما ..

ثم يواجهها ذلك الثعبان الآدمى ..

وتنقضّ عليها تلك الأنياب الحادة الطويلة السامة ، و ....

« يا إلهى ! »

انطلقت صرخته المذعورة ، مع ذلك المشهد البشع ، الذى انتهى إليه الأمر ..

مشهد (نشوى) ملقاه أرضا ، بعينين جاحظتين ، ووجه مسود ، وثقبين يسيل منهما الدم المسموم ، من عنقها مباشرة ..

مشهد لا يمكن أن ينساه ..

أبدا ..

وبكل توتره ، صاح بمدير الأمن :

ـ حل قيد معصمى الآن ، وإلا نسفت رأسك بلا رحمة .

هتفت (مشيرة) :

ـ (أكرم) .. أرجوك .

ومع آخر حروف هتافها ، انطلقت صرخة (نشوى) ، ترج المستشفى كله ..

واتسعت عينا (أكرم) عن آخرهما ، وهو يصرخ :

ـ لا .. ليس (نشوى) ..

فقد أدرك على الفور أن ذلك المشهد ، الذى رآه فى نهر الزمن ، قد انتقل إلى مرحلة الحقيقة ..

الحقيقة المجردة ..

* * *

بكل قوته ووحشيته ، انقضّ الثعبان الآدمى على (نشوى) ، وأنيابه الحادة الطويلة تلتمع على نحو مخيف ، تحت ضوء الحجرة ..

وتراجعت (نشوى) بكل رعب الدنيا ، وهى تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

ووثب الثعبان الآدمى نحوها ، ولطمها بكفه فى قوة فوق بشرية ، فارتطمت بالباب فى عنف ، ثم سقطت أرضًا خارج الحجرة ..

ومن بعيد ، لمحت رجال أمن المستشفى ، وهم يعدون نحو المكان ..

وفى وحشية مخيفة ، استدار إليهم ذلك الثعبان الآدمى ، وكشَّر عن أنيابه الحادة ، وهو يطلق تلك الصرخة ، التى تجمع بين الزمجرة والفحيح ..

وتوقَّف الرجال فى ذهول مذعور ، وأحدهم يصرخ :

- رباه ! ما هذا ؟! مصاص دماء ؟!

انتزع رفيقه مسدسه ، وهو يهتف ، فى توتر بلا حدود :

- أيًا كانت ماهيته ، لابد من إيقافه .

ولكن ذلك الثعبان الآدمى تراجع لحظة ..

ثم وثب ..

وثب وثبة طويلة عالية ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصة مسدس رجل الأمن ، الذى اتسعت عيناه عن آخرهما فى ذهول ورعب ، وهو يتابع خصمه ، الذى كاد يبلغ السقف بقفزته المذهلة ، قبل أن يهبط على قدميه ، وسط رجال الأمن تمامًا ، وهو يطلق فحيحًا آخر ..

وصرخ أحد رجال الأمن ، فى حين تراجع آخر فى رعب ، وأسرع ثالث يحاول سحب مسدسه ..

ولكن الثعبان الآدمى تحرك بسرعة مدهشة ..

ووحشية بلا حدود ..

وبلطمة كالمطرقة ، أطاح بأحد رجال الأمن بعيدًا ، ليضرب به الجدار فى عنف ، ثم استدار إلى الثانى ، وأطبق بأنيابه على عنقه ، فى نفس اللحظة التى ركل فيها الثالث فى معدته ، ركلة بدت كالقنبلة ، حتى لقد شهق معها الرجل فى عنف ، وتفجَّرت الدماء من بين شفتيه ، قبل أن يسقط على ركبتيه أرضًا ، فى حين أمسك الثعبان الآدمى عنق رجل

الأمن الرابع والأخير ، وحمله فى خفة وقوة ، ليلقى به أربعة أمتار ، عبر الممر الطويل ..

وسادت موجة هائلة من الرعب ، فى الطابق كله ، وراح الأطباء والممرضات يعدون بكل الذعر ، فى محاولة للفرار من المكان ، والثعبان الآدمى يطلق فحيحًا تلو الآخر ، وهو يعود إلى الحجرة ، التى يرقد فيها (رمزى) ..

وما إن بلغها ، حتى تفجّر غضب هادر من عينيه ، وهو يتطلّع إلى الفراش الفارغ والحجرة الخالية ، قبل أن يثب خارجها ، ويطلق فحيحًا غاضبًا آخر ، وأنفه يتشمّم الهواء فى قوة ..

فى نفس اللحظة ، كانت (نشوى) تبذل قصارى جهدها ، لجذب زوجها (رمزى) الفاقد الوعى ، عبر ممر جانبى ، فى محاولة لبلوغ المصعد ، وهى ترتجف فى عصبية بالغة :

ـ ساعدنا يا إلهى ! ساعدنا .

لم تكن تدرى أى شىء هذا ، الذى كاد يمزّق عنقها بأنيابه الحادة الطويلة ، بعد أن سعى لقتل زوجها !!

بل ولم يكن باستطاعة عقلها أن يتصوّر وجود شىء كهذا !!

ولكن الوقت لم يكن يناسب البحث عن التفسير ..

أى تفسير ..

المهم الآن أن تفرّ من هذا المصير البشع ..

وبأى ثمن ..

وها هى ذى تلمح المصعد ، فى نهاية الممر الفرعى ..

وعلى الرغم من أن وزن زوجها يفوق وزنها ، بمرة ونصف على الأقل ، إلا أنها راحت تجذبه ..

وتجذبه ..

وتجذبه ..

وتلاحقت أنفاسها ، ونهجت فى عنف ، وارتفعت دقات قلبها على نحو عنيف ، وهى تتمتم :

ـ رباه ! لا ينبغى أن أنهار الآن .. لا ينبغى أن أفقد قواى .

كان المصعد يقترب أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ودقات قلبها ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

ثم فجأة ، انطلق ذلك الفحيح المزمجر المخيف ..

واستدارت بكيانها ورعبها كله ، إلى بداية الممر الفرعى ..

وانتفض جسدها كله ، عندما ارتطم بصرها بعينيه المخيفتين ..

بعينى ذلك الثعبان الآدمى الرهيب ، الذى تقدَّم نحوها فى بطء وحشى ..

وفى نفس اللحظة ، بلغ المصعد المكان ..

وانتفض جسدها مرة أخرى ..

وعلى الرغم من صعوبة الموقف ، ومن تلك النظرة الوحشية ، المطلَّة من عينيه ، جذبت هى زوجها نحو المصعد ، و ....

ووثب الثعبان الآدمى بكل قوته ..

وثب عبر الممر الفرعى كله ، وثبة هائلة مخيفة ، ليهبط فى تلك المسافة القصيرة ، بينها وبين المصعد ..

ثم أطلق فحيحًا ظافرًا ، وهو يرفع يديه أمامها ، ويكشِّر عن أنيابه ، و ....

وفجأة دوت تلك الرصاصات ..

ثلاث رصاصات متصلة ، عبرت الممر الفرعى ، لتخترق رأس وصدر ذلك الثعبان الآدمى ، وتقتلعه من مكانه ، ليندفع عبر الأمتار الثلاثة ، المتبقية من الممر ، ويرتطم بالجدار فى نهايته بمنتهى العنف ..

وبكل كيانها ، استدارت (نشوى) إلى بداية الممر ، وعيناها تتسعان عن آخرهما ، لتهتف بكل الدهشة :

- (أكرم) ؟!

كان يقف عند بداية الممر ، بكل الحزم والصرامة ، ونصف قيد معدنى يتدلى من معصمه الأيسر ، فى حين يمسك مسدساً يتصاعد الدخان من فوهته بيمناه ، وهو يسألها :

- أأنت بخير ؟!

أومأت برأسها إيجاباً فى انبهار ، فتقدم نحوها ، متسائلاً :

- وماذا عن (رمزى) ؟!

بح صوتها من فرط الانفعال ، وهى تجيب :

- أظنه بخير ..

تجاوزها ، دون أن يخفض مسدسه ، واتجه نحو ذلك الثعبان الآدمى مباشرة وكأنما يتأكد من موته ..

وفى تلك اللحظة وصلت (مشيرة) ، مع رجال الأمن ، وهى تلهث هاتفة :

- يا إلهى ! ماذا حدث ؟! يا إلهى !

انتفض جسد (نشوى) كله ، من فرط الانفعال ، وهى تقول :

- (أكرم) أنقذنا .. فى اللحظة الأخيرة .

هز مدير الأمن رأسه فى قوة ، قائلاً فى انبهار :

- لن يمكنك أن تتصورى كيف فعل هذا ! لقد سمع صرختك ، فأصابته نوبة من الجنون ، جعلته يطلق النار على قيوده ، ثم يثب من فراشه ، ويدفع رجلىّ بقوة مذهلة ، قبل أن يعدو كالصاروخ .

وهتف أحد رجلى الأمن ، المصاحبين له :

- إننى لم أصدق نفسى ، عندما وثب من طابقنا إلى هذا الطابق ، توفيراً لكل ثانية .

غمغمت (نشوى) :

- حمداً لله .. لقد وصل فى الوقت المناسب .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، وقال في عصبية :

– حمدًا لله .. لم أكن لأحتمل تكرار ذلك المشهد أبدًا .

سألته (نشوى) في دهشة :

– أي مشهد هذا ؟!

لوّح بمسدسه ، مجيبًا :

– ذلك المشهد البشع ، الذي شاهدته في ....

قبل أن يتمّ عبارته ، اعتدل ذلك الثعبان الآدمي بغتة ، وانقضّ على ساق (أكرم) مطلقًا ذلك الفحيح الرهيب ..

ثم غرس أنيابه بكل قوته ..

وصرخت (نشوى) ، وهي تتراجع في رعب ، في حين اتسعت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وهي تصرخ :

– ما هذا ؟! رباه ! ما هذا ؟!

أما (أكرم) ، فعلى الرغم من الآلام الرهيبة ، التي

سرت في جسده كله ، أدار فوهة مسدسه إلى رأس ذلك الثعبان الآدمي ، وهو يصرخ :

– ألم تمت بعد أيها الحقير ؟!

ثم ضغط زناد المسدس مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ونسفت الرصاصات رأس ذلك الثعبان الآدمي نسفًا ، وتفجّرت دماؤه في كل مكان ، وتناثر مخه على الجدار ، وصرخات (نشوى) و(مشيرة) تعلو ..

وتتواصل ..

وتتردد في المستشفى كله ..

أما مدير الأمن ومساعداه ، فقد اندفعوا نحو (أكرم) ، والأول يهتف به :

– هل تشعر بشيء ؟!

حاول (أكرم) أن يجيبه ، ولكن السم الرهيب كان يسرى فى جسده فى سرعة مخيفة ، فأمسك كتفى الرجل فى قوة ، هاتفا :

- المشهد الآخر .. (نور) .. خلف الباب .

وكان هذا آخر ما نطق به ، قبل أن يذوب مخه بغتة ، و ....

ويسقط فاقد الوعى ..

للمرة الثالثة ..

وربما الأخيرة ..

* * *

فى نفس اللحظة ، التى دفع فيها (نور) باب منزله ، والتى تأهب فيها الثعبان الآدمى الثانى ، للانقضاض على ضحيتيه ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال الخاص ..

وبحركة غريزية ، أفلت (نور) مقبض الباب ، وهو يرفع ساعته إلى شفتيه ، قائلا :

- المقدّم (نور) .. من المتحدّث ؟!

أتاه صوت ابنته ، وهى تهتف فى ذعر :

- أبى .. احضر فورًا .. هناك أمر رهيب حدث هنا .. رهيب للغاية .

اتسعت عينا (سلوى) فى رعب ، وهى تهتف :

- (نور) .. يا إلهى ! (نور) .

جذب (نور) بطاقته المغناطيسية من الباب ، وهو يهتف :

- سنحضر على الفور .

انطلق مع زوجته يعدوان ، عائدين إلى سيارتهما ، فانعقد حاجبا ذلك الثعبان الآدمى ، فى غضب هادر ، وخمش الباب من الداخل بأظفاره فى شراسة ، وهو يطلق ذلك الفحيح المزمجر الوحشى ..

ولم يسمع (نور) و(سلوى) مافعله ، وهما يقفزان داخل سيارتهما ، التى انطلق بها (نور) على الفور ، عائدًا إلى المستشفى ، و(سلوى) تلهث من فرط الانفعال ، هاتفة :

- تُرى ماذا حدث هناك ؟! هل تعتقد أن (رمزى) قد ..

قاطعها في توتر :

- لاداعي لاستباق الحوادث يا (سلوى) ..

وفي نفس اللحظة ، التي اختفت فيها سيارتهما عند الأفق ، تراجع ذلك الثعبان الآدمي القاتل في بطء غاضب ، إلى الركن نفسه ، ثم توقف جامدًا ، ليعاود الانتظار ..

فكنصف حيوان مفترس ، كان يعلم أن الصبر هو السبيل للفوز بالضحية ، في نهاية المطاف ..

السبيل الأمثل ..

أما (نور) و(سلوى) ، فما إن بلغا المستشفى ، حتى روت لهما (نشوى) ماحدث ، وهي ترتجف على نحو عجيب ، قبل أن ترتمي بين ذراعي أمها ، هاتفة :

- لقد كان أمرًا بشعًا .. بشعًا للغاية .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو يستعيد كل ماقالته (نشوى) ، قبل أن يسألها في قلق :

- وما موقف (أكرم) الآن ؟!

اعتدلت ، قائلة ، ودموعها تسيل على وجهها :

- يقولون إن كمية السم ، التي سرت في جسده ، لا تكفي لقتله ، ولكنه سيفقد الوعي لفترة ما .

تنهد (نور) ، قائلاً :

- أمر عجيب !

حاولت (سلوى) تهدئته ، وهي تقول :

- ليس عجيبًا يا (نور) .. الغيبوبة أمر طبيعي ، في مثل هذه الـ ..

قاطعها في توتر :

- ليس هذا ما قصدته .

سألته في حيرة قلقة :

- ما العجيب إذن ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

- العجيب أن (أكرم) كان يعرف ما سيحدث ، على نحو أو آخر ، فقد تحدث عن أنياب قاتلة ، خلف

الأبواب المغلقة ، ولقد فوجئت (نشوى) بذلك الثعبان الآدمى ، خلف باب حجرة (رمزى) ؛ ليهاجمها بأنيابه القاتلة .. أنياب خلف أبواب مغلقة .. بالضبط كما حذرنا هو منها .

حدقت فيه (نشوى) بدهشة ، ومسحت دموعها ، قائلة :

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا ؟!

أشار بسبابته ، وهو يجيب فى اهتمام :

- يعنى أن العالم ، الذى كان فيه (أكرم) ، يتيح له رؤية الأحداث المستقبلية ، على نحو أو آخر ، وهذا ينطبق أكثر ما ينطبق ، على مكان واحد بالتحديد .

أجابته (سلوى) فى سرعة :

- نهر الزمن .

قال فى حزم :

- بالضبط .

ظهرت (مشيرة) فى تلك اللحظة ، وهى تهتف فى غضب :

- هل يمكننى أن أعرف ، ما الذى يحدث هنا ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

- ليس الآن يا (مشيرة) .

صرخت فى غضب هادر :

- بل الآن أيها المقدم .. وهنا .. إننى لا أتحدث عن سبق صحفى ، أو خبر مثير ، أسعى لبثه على شاشة أنباء الفيديو .. إننا نتحدث عن زوجى ، الذى يصارع الموت الآن ، بسبب شىء وحشى عجيب ، ترفضون حتى التصريح بماهيته .

قال (نور) ، فى صرامة أكثر :

- امنحينا ثقتك فحسب يا (مشيرة) ، فأمن (مصر) يمنعنا من التصريح بما لدينا .

صاحت فى حدة :

- أمن (مصر) ؟! عن أى أمن تتحدث أيها المقدم ..

ما فعله وحشكم هذه المرة ، حدث أمام عشرات الشهود ، وهذا أمر يستحيل كتمانه .

قال (نور) :

- لايوجد دليل مادى واحد عليه .

لوّحت بيدها ، صائحة :

- وماذا عن جثة ذلك الوحش ؟!

أتاه صوت هادئ من خلفها ، يقول :

- أى وحش ؟!

استدارت إلى مصدر الصوت ، هاتفة فى دهشة :

- الدكتور (حجازى) ؟!

تقدّم منها كبير الأطباء الشرعيين ، وهو يقول بنفس الهدوء :

- الشرطة استدعتنى لفحص جثة ذلك المجنون ، الذى يستخدم أنيابًا صناعية ، كتلك التى تستخدمها السينما ، فى أفلام مصاصى الدماء .

هتفت مستنكرة :

- أنياب صناعية ؟! هل تعتقد أن أحدًا سيصدّق هذا ؟!

هزّ كتفيه ، قائلاً :

- ليس هذا من شأنى .

ثم أدار عينيه إلى (نور) ، وهو يضيف فى حزم :

- إننى أتحدّث عن التقرير الرسمى .

انعقد حاجبا (نور) ، وقد فهم ما يعنيه الدكتور (حجازى) ، فى حين احتقن وجه (مشيرة) فى غضب ، وهى تنقل بصرها بين وجوه الجميع ، قبل أن تقول فى غضب :

- فليكن .. ما دمتم تريدونها حربًا ، فسأعلنها كذلك .. سأستنفر كل الطاقات الإعلامية ، للبحث خلف ما حدث هنا ، وسأجمع وأعلن كل الحقائق الممكنة ، مهما بلغت خطورتها .

أجابها (نور) فى صرامة جافة :

- هذا شأنك .

انتفض جسدها فى غضب ، ثم اندفعت تغادر المكان ، فى حين سألت (سلوى) الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

- ماذا عن التقرير غير الرسمى ؟!

مطّ الرجل شفتيه ، قائلاً :

- إننى لم أجر فحصًا كاملاً بعد .. لقد ألقيت نظرة على الشكل الظاهرى فحسب ، وطلبت إرسال بعض العينات للفحص المجهرى ، والفحص البصمة الجينية ، كما أرسلت فى طلب الدكتورة (هناء حمدى) ، الخبيرة البيولوجية الشهيرة ، لإجراء الفحص التشريحى المقارن .

سأله (نور) :

- وماذا عن رأيك الأولى ؟!

تنهد ، قائلاً :

- (أكرم) نسف رأس ذلك الشيء تمامًا ، مما أضاع

الكثير من التفاصيل ، ولكن مما تبقى ، يمكننى أن أقول : إننى كنت على حق .

رددت (نشوى) ، فى دهشة حذرة :

- كنت على حق !!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا بنيتى .. لقد تطوّروا كثيرًا بالفعل .. إننا نواجه الجيل الخامس الآن .

واتسعت عيون ثلاثتهم عن آخرها ..

فالمعلومة هذه المرة كانت خطيرة ..

ومخيفة ..

للغاية .

* * *



٦ ـ الجيل الخامس ..

انعقد حاجبا الضخم ، ومطّ شفتيه فى حنق ، وهو يراجع ذلك التقرير العاجل ، الذى حمله إليه الأصلع ، الذى قال فى مرارة :

ـ المهمة الأولى فشلت تمامًا ، وذلك الهمجى ، فى فريق (نور) ، تمكّن من قتل رجلنا ، قبل أن يتمّ عمله .

غمغم الضخم فى خشونة :

ـ رجلنا ؟ ياله من قول !

قال الأصلع فى عصبية :

ـ بم أسميه إذن ؟! ثعباننا ؟!

زفر الضخم فى حدة ، قائلاً :

ـ قل : سلاحنا السرى فحسب .

لم يرق هذا الأسلوب الملتف للأصلع ، فهزّ رأسه ، قائلا :

ـ فليكن .. لقد خسرنا أحد أسلحتنا السرية .

وعجز عن الاكتفاء بهذا القول ، فانتفض جسده ، وهو يهتف فى حنق عصبى :

ـ هل يصنع هذا فارقا ؟!

أجابه الضخم ، بكل صرامته الغاضبة :

ـ بالتأكيد .

قالها ، ونهض من خلف مكتبه ، واتجه نحو نافذة كبيرة ، وقف يتطلع عبرها لدقيقة كاملة فى صمت ، قبل أن يقول فى غلظة :

ـ فى كل الأحوال ، الأمر لا يعدو كونه مجرد تجربة .

قال الأصلع فى توتر :

ـ تجربة فاشلة .

استدار إليه الضخم فى غضب ، قائلاً :

ـ ليس بعد .

هتف الأصلع :

- لقد دمروه ، قبل أن يتمّ مهمته .

قال الضخم فى حدة :

- التفاصيل لم تصلنا كاملة بعد .

أكمل الأصلع :

- وانكشف أمره .

هتف الضخم :

- وماذا فى هذا ؟!

انتفض جسد الأصلع ، من فرط الانفعال ، وهو يهتف :

- أخبرني بالله عليك : أى سلاح سرى هذا ، الذى يعرف الكل بأمره ، على هذا النحو العلنى ؟!

بدا الضخم شديد الانفعال بدوره ، وهو يقول :

- السرى لم ينكشف هناك ، فى ذلك المستشفى ،

بل انكشف فى قلب المنجم المهجور ، فى منطقة (جبل الطور) ، وهذه ليست مسئوليتى .

قال الأصلع فى غضب :

- هل تعتقد هذا ؟!

لوّح الضخم بذراعه ، قائلاً فى حدة :

- بالتأكيد .

وصمت لحظة ، قبل أن ينعقد حاجباه فى صرامة ، مستطردًا :

- ولا تنس أنه واحد من ثلاثة .

قال الأصلع فى عصبية :

- وهل يصنع هذا فارقًا ، مع انكشاف السر ؟!

صاح به الضخم :

- المصريون ليسوا أغبياءً .

قالها ، وعاد إلى مقعده ، قبل أن يضيف :

- ماداموا قد كشفوا أمر تجربتنا القديمة ، فى المنجم المهجور ، فسيدركون حتمًا أن الأمر لم ولن يتوقف عند هذا الحد .

قال الأصلع فى حدة :

وهذا يضعنا فى موقف شديد الحرج ، دبلوماسيًا وأمنيًا .

قلب الضخم شفتيه ، وهو يقول فى ازدراء :

- ومنذ متى يقلقنا هذا ؟!

مال الأصلع نحوه ، قائلاً فى صرامة :

- منذ فقدنا دعمنا الأمريكى ، وأصبحنا أقل قوة من العرب .

امتلأت ملامح الضخم بالمقت ، وهو يقول :

- وهذا ما أسعى لإزاحته ، وإعادته إلى ما كان عليه .

ثم لوح بسبابته فى وجه الأصلع ، مستطردًا فى غضب :

- وما يحول الحمقى أمثالك بينى وبينه .

اشتعلت عينا الأصلع فى غضب ، وهو يعتدل ، قائلاً فى استنكار :

- الحمقى ؟!

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يضيف بكل الصرامة :

- فليكن .. مادام هذا رأيك ، ومادام يختلف تمامًا عن رأيى ، فالأمر يحتاج حتمًا إلى طرف ثالث لحسم هذا الخلاف .

ازداد انعقاد حاجبى الضخم ، وهو يقول :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه الأصلع ، فى صرامة شديدة :

- أعنى أننى سأبلغ المسئولين ؛ ليدلوا بدلوهم فى هذا الشأن .

قالها ، ودار على عقبيه ، واندفع نحو الباب فى غضب ، وما إن بلغه ، حتى استدار إلى الضخم ، وأخرج من جيبه جهازًا صغيرًا ، وهو يستطرد فى حدة :

- ولتعلم أنني قد سجلت كل حديثنا ، على نحو يحتم معرفة العالم كله لو أصابني مكروه .

مطّ الضخم شفتيه في حنق ، فتابع الأصلع في حدة أكثر :

- فلن يتكرّر معي أبدًا ، ما أصاب رئيس إدارة الأبحاث .. هل تذكره ؟! إنه ذلك النحيل ، الذي قالت الأوراق الرسمية : إنه قد انتحر ، دون أي سبب منطقي .

ألقى كلماته ، وغادر المكان ، ليصفق بابه خلفه في عنف شديد ، تاركًا الضخم خلفه ، وقد احتقن وجهه بشدة ، وعقله ملتهب بعشرات الأفكار ..

ترى ماذا سيحدث ، لو أخبر هذا العاقون المسئولين ؟!

ماذا سيفعلون به ؟!

ومعه ؟!

كان التوتر يملأ جسده ، على نحو عنيف ، فضغط

زر جهاز البث ، الذي اشتعل على الفور ، ليكمل عرض ذلك الفيلم التسجيلي ، للمذابح الدموية الرهيبة ، التي ارتكبها سلفه ، الذي لقبه التاريخ بالسفاح ..

ومع العرض ، عادت عيناه تتألقان في نشوة عجيبة ..

نشوة تجعلك تتساءل في حيرة : أيهما يستحق لقب الوحش الحقيقي ؟!

تلك الثعابين لنصف البشرية ، أم هو ؟!

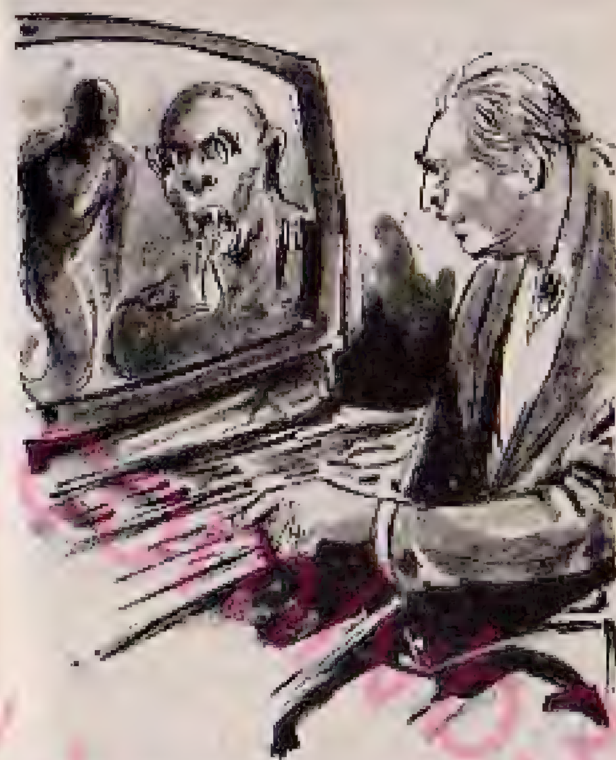
أيهما ؟!

وبحق ؟!

* * *

« لقد تطوّروا كثيرًا ... »

غمغم الدكتور (محمد حجازي) بالعبارة ، وهو منهمك في تشريح وفحص جثة ذلك الثعبان الآدمي ،



ومع العرض ، عادت عيناه تتألقان فى نشوة عجيبة ..

داخل قاعة صغيرة خاصة ، أسفل المستشفى العسكرى سأله (نور) فى اهتمام :

ـ لقد ساعدتهم التقنية الحديثة .. أليس كذلك ؟!

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ هذا أمر واضح ، فالامتزاج بين صفات الثعابين والصفات البشرية هنا أكثر اتقانًا .. لقد جعلوا الشكل الخارجى آدميًّا بقدر الإمكان ، وحسنوا كثيرًا أداء الأحبال الصوتية هذه المرة ، والغدد اللعابية المتطوّرة تعمل بكفاءة أكثر ، ويمكنها أن تبث السم فى الدم مباشرة ، عبر الفتحات التى تصنعها هذه الأنياب الحادة ، تمامًا كالثعابين الحقيقية .

وتوقّف لحظة ، ليمسح العرق المتصبّب على وجهه ، قبل أن يضيف :

ـ أعتقد أن الجيل التالى سيصبح أكثر كفاءة .

سأله (نور) فى توتر :

ـ هل تعتقد أنهم يعملون على إنتاجه بالفعل ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

- ياله من سؤال يا (نور) ! هل تعتقد أنه من الممكن أن يتوقفوا ، بعد أن بلغوا هذا القدر ؟!

اعتدل (نور) فى وقفته ، وشدّ قامته فى وقفة عسكرية غريزية ، وهو يقول بكل الحزم والعزم :

- إن لم يتوقفوا ، فسيكون من المحتّم أن نوقفهم نحن .

سأله الطبيب الشرعى فى حذر :

- وكيف يمكنكم فعل هذا ؟!

أجابه (نور) فى صرامة :

- سنتعقّب كل خيط ، يمكن أن يقود إليهم .

تنهّد الدكتور (حجازى) ، مغمغمًا :

- أتمنّى أن يفلح هذا .

ثم أشار إلى جثة الثعبان الآدمى ، مستطردًا :

- فباستطاعتهم إنتاج جيش رهيب متطوّر من هذه الأشياء خلال عشر سنوات فحسب .

تنهّد (نور) فى توتر ، قائلاً :

- كنت أتصور أن الأمر يستغرق أقل من هذا .

قال الدكتور (حجازى) :

- ليس عندما يتعلّق الأمر بكائن نصف بشرى ، فحتى مع هرمونات النمو الفائقة ، التى يتمّ استخدامها بمنتهى الدقة والحذر ، لا يمكنك أن تحصل على جسد ناضج ، قبل هذه الفترة ، التى تعدّ قصيرة جدًا ، مقارنة بما كان يحتاج إليه الأمر فى السابق .

أومأ (نور) برأسه متفهمًا ، ومطّ شفتيه ، مغمغمًا :

- لقد استوعبت الأمر .

وصمت لحظة ، ثم عاد يسأل فى اهتمام :

- ألا توجد لديك هنا أية نقطة ، يمكن اعتبارها طرف خيط ؟!

مطّ كبير الأطباء الشرعيين شفتيه بدوره ، وهو يجيب :

أى مكان فى العالم ، يمتلك التكنولوجيا الكافية ، يمكنه أن ينتج أشياء كهذه .

قال (نور) فى حزم :

ـ ولكن وجود ذلك المعمل الخفى ، أسفل المنجم المهجور ، فى قلب (سيناء) ، يمنحنا إشارة إلى المنتجين الحقيقيين .

هزّ كتفيه ، مجيبًا :

ـ يمكنهم إنكار هذا رسميًا ، وادعاء أن جهة ما قد استولت على أسرار ووثائق تجاربهم السابقة ، إذا ما أثبت قيامهم بها ، وسيلقون التبعة على غيرهم كعادتهم .

التقى حاجبا (نور) فى صرامة ، وهو يقول :

ـ ولكننا لن نسمح لهم بتطوير هذه الأشياء البشعة .

أجابه الدكتور (حجازى) :

ـ العب بأسلوبهم إذن .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ أى أسلوب إذن .

أدار الدكتور (حجازى) عينيه إليه ، مجيبًا فى حزم :

ـ أسلوب الخروج عن كل القواعد ، فيما عدا قاعدة واحدة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى قوة :

ـ السعى للنصر فقط .. وبأى ثمن .

« العب بأسلوبهم إذن .. »

« بأسلوبهم .. »

« بأسلوبهم .. »

راحت تلك النصيحة تتردد فى ذهن (نور) ، وهو يتطلع إلى (أكرم) الفاقد للوعى ، فى حجرة الطوارئ ، التى يرقد فيها هذا الأخير ، قبل أن يتمتم :

ـ تُرى ماذا تعرف عن مستقبلنا يا صديقى ؟! أى شىء أردت أن تخبرنا به ، وحجبته عنا هذه الغيبوبة السخيفة ؟!

رفعت (مشيرة) عينيها المرهقتين إليه ، وهى تتساءل :

- ماذا تقول يا (نور) ؟!

هزّ رأسه ، قائلاً :

- لا شيء يا (مشيرة) .. إننى أحدّث نفسى فحسب .

تطلّعت إليه بضع لحظات ، فى صمت متوتر ، قبل أن تسأله :

- لماذا لاتخبرنى بما يحدث يا (نور) ؟!

صمت لحظة ، ثم أجاب فى هدوء :

- لأن هذا ليس باستطاعتى يا (مشيرة) .

نهضت من مقعدها ، واتجهت إليه ، قائلة :

- هذا وحده يؤكّد أنه ليس بالأمر البسيط .

غمغم :

- أنا واثق من أنك تدركين هذا .

تطلّعت إليه لحظة أخرى ، ثم سألته فى توتر :

- وهل سيمكنك أن تخبرنى به فى المستقبل ؟!

تنهّد ، قائلاً فى خفوت :

- لست أدرى .

احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :

- ولماذا هذه المرة ؟!

رفع سبّابته إلى شفتيه ، وهو يقول محذرًا :

- رويدك .. إننا داخل حجرة طوارئ .

احتقن وجهها أكثر ، وهى تخفض صوتها ، ومكرّرة فى عصبية :

- ولماذا لا يمكنك إخبارى مستقبلاً ؟! لقد اعتدنا أن نتجاوز الأمر فى حينه ، ثم أحصل على السبق كله فيما بعد .

قلّب كفيه ، وتنهّد ، قائلاً :

- لست أدرى ما إذا كنا سنتجاوز الأمر هذه المرة .

تحوّل وجهها من الاحتقان إلى الامتقاع دفعة واحدة ، وهي تغمغم :

- إلى هذا الحد ؟!

تنهّد مرة أخرى ، مجيبًا :

- إننا نبذل قصارى جهدنا .

تراجعت وهي تحدّق فيه بشيء من الذعر ، قبل أن تعود إلى مقعدها ، مغمغمة :

- يا إلهي ! يا إلهي !

في نفس اللحظة ، التي نطقت فيها عبارتها ، كان ممرض الطوارئ النوبتجي يدلف إلى حجرة التمريض ، الملحق بقسم الحالات الخاصة ، قائلاً لزميله الجالس هناك :

- يا لسخافة الإجراءات هذه الليلة ! لقد فحصوا أوراقي مرتين ، وقام أحدهم بفحص عيني لدقيقة كاملة ، قبل أن يسمحوا لي بالدخول إلى هنا .

خلع ملابسه في سرعة ، والتقط معطفه ، وهو يتطلع إلى النافذة ، متسائلاً في حيرة :

- من فتح النافذة ؟! الطقس بارد في الخارج ، وجهاز التدفئة يعمل بكفاءة ، و ....

كان يتجه إلى النافذة المفتوحة ، وهو يردّد قوله هذا ، فاصطدم فجأة بشيء ما خلف المكتب ، وما إن خفض عينيه إليه ، حتى اتسعتا في دهشة وارتياع ، ما لهما من حدود ..

لقد كانت جثة زميله ، التي ألقيت خلف المكتب ، وقد اتسعت عيناه في رعب ، واسود وجهه ، وسالت الدماء من ثقبين في عنقه ، وتناثرت من حوله قطع من الزجاج ، جعلت الرجل ينتبه ، لأول مرة ، إلى أن النافذة قد تم كسرها من الخارج ، و ....

وقبل حتى أن يستوعب الأمر كله ، انقض عليه ذلك الشيء ، الذي يرتدي معطف زميله ..

وجحظت عينا الرجل من فرط الرعب ، وهو يحدّق

فى تلك الأنياب الحادة الطويلة ، التى تألقت تحت ضوء الحجرة لحظة ، قبل أن ترتفع يد قوية ، لتكتم أنفاسه ، وتمنعه من إطلاق تلك الصرخة ، التى اكتملت فى حلقه ، فى نفس اللحظة التى هوت فيها الأنياب الرهيبة ، لتنغرس فى وريده العنقى ..

بمنتهى العنف ..

والوحشية ..

* * *

فركت الخبيرة البيولوجية (هناء حماد) عينيها فى إرهاق ، وهى تلقى نظرة على ساعة يدها ، التى أشارت عقاربها إلى قرب الفجر ، قبل أن تواجه (سلوى) و(نشوى) ، قائلة :

ـ هذه العينة تختلف تمامًا عن سابقتها .

سألتها (سلوى) فى اهتمام :

ـ من أى اتجاه ؟!

لوّحت بيدها ، قائلة :

ـ إنها أكثر تقدمًا وتركيزًا ، فعلى الرغم مما وصلتموه ، من أن الهيئة الخارجية تبدو آدمية تمامًا ، من الناحية الظاهرية ، فنسبة الجينات البشرية فى العينة لا تزيد على أربعين فى المائة ، ولكن تم انتقاؤها بمهارة وخبرة شديدتين ، بحيث تتركّز الصفات الثعبانية فى التكوين الداخلى وحده ، فى حين يظلّ الشكل الخارجى آدميًا بقدر الإمكان .

ثم تساءلت فى اهتمام :

ـ أخبرانى : هل أثبت التشريح وجود رئة واحدة أم رئتين ؟!

تبادلت (سلوى) و(نشوى) نظرة دهشة حائرة ، قبل أن تتساءل الأخيرة :

ـ ولماذا السؤال ؟!

أجابت فى حماسة :

ـ لأن الثعابين الحقيقية لها رئة واحدة فحسب(*) ، وكنت أريد أن أعرف ، كم بلغت درجة التحكم الداخلية .

(*) حقيقة ..

تبادلت الاثنتان نظرة صامتة أخرى ، قبل أن تجيب (سلوى) هذه المرة :

- الدكتور (حجازى) لم يشر إلى وجود رنة واحدة ، وهذا يعنى أنه قد وجد رنتين عاديتين .

هزت رأسها متفهمة ، ثم قالت فى حزم :

- ما زالوا يحتاجون إلى مزيد من التطوير إذن .

غمغمت (نشوى) :

- أتعشم ألا يفعلوا .

أجابتها (هناء) فى حزم صارم :

- بل سيفعلون .

بدا القلق على وجهى (سلوى) و(نشوى) ، فتابعت (هناء) فى حزم :

- كان ينبغى أن يتوقعوا هذا ، منذ بدأ ذلك العبث الجينى فى التسعينات .. لقد بهرهم الأمر ، فراحوا يجرون تجاربهم فى لهفة وحماسة ، دون أن ينتظروا لاستيضاح الأمر ، واستكمال معلوماتهم عنه ، وتصدى بعضهم إلى محاولات العبث بالطبيعة ، لإنتاج كائنات

لم يكن لها وجود من قبل ، حتى بلغ الأمر حد السعى لتسجيل الملكيات الفكرية ، لأية كائنات عجيبة أو مشوّهة ، يتم إنتاجها عن طريق مزج جينات كائنات مختلفة فى المعامل(*) ..

قالت (نشوى) بدهشة مستنكرة :

- كنت أظن أن القانون يحظر هذا .

لوّحت بيدها ، هاتفة :

ومنذ متى نجح القانون ، فى إيقاف الزحف العلمى ؟! ألا تذكرون ما حدث فى أوائل القرن الحادى والعشرين ، عندما صدر قانون فى معظم دول العالم ، يحظر محاولات استنساخ الأجنة البشرية ؟! لقد تجاهله معظم العلماء ، المهتمين بهذا الأمر ، فسافر بعضهم للقيام بهذا ، فى الدول التى لم تصدر مثل هذا القانون بعد ، فى حين أجرى الآخرون تجاربهم سراً ، فى دول تستخدمه ، وإن لم يمنعهم هذا من إعلان نجاح تجاربهم فيما بعد(*) ..

(*) حقيقة ..

تمتمت (سلوى) :

- هذا صحيح .

تنهدت (هناء) ، قائلة :

- إنها مشكلة لن تحل أبدا ، مادام هناك من يعميه التقدم عن كل المبادئ والأخلاقيات .

سألتها (نشوى) فى اهتمام :

- هل يمكنك استنتاج اسم الدولة ، التى يمكن أن تتجاوز كل القواعد والأعراف ؛ لإنتاج شىء كهذا ؟!

هزت (هناء) رأسها ، قائلة :

- وهل يحتاج الأمر إلى استنتاج ؟!

ثم مالت نحوها ، مستطردة :

- دولة واحدة فقط ، التى لم تقم يومًا وزنًا لأية قيم أو قواعد ، سواء قانونية ، أو سياسية ، أو أخلاقية ، أو حتى آدمية ، خلال تاريخها القصير .

انعقد حاجبا (سلوى) ، وهى تقول :

- كلنا نعرفها بالتأكيد .

اعتدلت (هناء) ، وهى تقول فى توتر :

- ولكن لو نجح هؤلاء الأوغاد ، فى تطوير هذا الشىء ، فستكون كارثة بلا حدود .

غمغمت (نشوى) :

- نحن نعلم هذا .

هزت (هناء) رأسها ، قائلة :

- بل تدركون الأمور المباشرة وحدها ، ولكنكم لاتدركون ما ينطوى عليه الأمر فعليًا .

سألتها (سلوى) فى قلق :

- ماذا تعنين ؟!

أشارت بيدها ، قائلة :

- لقد سعوا فى هذا الجيل لتطوير جين خاص نادر ، ولكنهم لم ينجحوا فى بلوغ درجة الكمال به لحسن الحظ .

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع (نشوى) ، قبل أن تتساءل الأخيرة :

ـ أى جين هذا ؟!

عادت (هناء) تميل نحوها ، مجيبة فى حزم :

ـ جين يمنح هذه الوحوش قدرة مدهشة ، على التواصل عقليًا فيما بينها ، بحيث لا تكون هناك حاجة للأوامر ، أو للاتصالات السلكية أو اللاسلكية ، فكلها تشعر ببعضها ، وتقرأ عقول بعضها طوال الوقت .

ومالت أكثر ، مع انفعالها الجارف ، وهى تضيف :

ـ باختصار ، لن نواجه جيشًا منهم فحسب ، وإنما كيانًا هائلاً ، يفكر بعقل واحد ، ويتحرك بمئات الأجساد ، مما يجعلهم قوة هائلة .. قوة لا يمكن التصدى لها .. أبدًا .

واتسعت عيون (نشوى) و(سلوى) عن آخرهما ..

فالأمر على هذا النحو يبدو خطيرًا ومخيفًا .. إلى أقصى حد ممكن ..

* * *

اعتدل (نور) بحركة حادة ، مع دخول الممرض النوبتجى إلى حجرة (أكرم) ، وهو يرتدى معطفه الأبيض ، ويضع على وجهه قناعًا بسيطًا واقيًا ، فقالت (مشيرة) محاولة تهدئته :

ـ لا بأس يا (نور) .. إنه موعد الدواء .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يتابع حركة الممرض ، الذى اتجه نحو (أكرم) مباشرة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين تابعت (مشيرة) ، وهى تسبل جفنيها فى إرهاق ، مع نسمات الفجر الأولى ، وأضواء الشفق تبدو من خلف النافذة فى الأفق البعيد :

ـ إنهم يفحصون كل من يقترب من هنا .

حاول (نور) أن يسيطر على توتره ، إلا أن شيئًا ما في ذلك الممرض ، لم يشعره بالارتياح أبدًا ، وبخاصة عندما أخرج من جيبه محقنًا ، ومال ليغرسه في ذراع (أكرم) الفاقد الوعي ..

وبنظرة فاحصة خبيرة ، جرت عينا (نور) على ذلك الممرض ، قبل أن تتوقف عند حذائه ..

وانعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو يحدق في الحذاء ، الذي تلوث كعبه ببعض قطع الطين ، على نحو لايتناسب مع ممرض يرتدي قناعًا واقيًا ، و ....

« أنت .. انتظر .. »

هتف (نور) بالعبارة في صرامة ، وهو يندفع نحو ذلك الممرض ، ثم يجذبه من كتفه في عنف ، قبل أن يغرس إبرة المحقن ، في ذراع (أكرم) ..

وبكل العنف والشراسة ، استدار إليه ذلك الممرض الزائف ، ولطمه بقوة هائلة ، شعر بها (نور) وهي تقتلعه من مكانه ، وتطيح به عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ويسقط في عنف ..

وبكل رعب الدنيا ، هبت (مشيرة) في مقعدها صارخة ، فاستدار إليها ذلك الثعبان الآدمي ، وهو ينتزع القناع الواقي عن وجهه ، ويكشر عن أنيابه الحادة الطويلة الرهيبة ، وهو يطلق تلك الزمجرة الفحيحية المخيفة ، ويتجه نحوها مباشرة ، وعيناه تلتهبان بوحشية بلا حدود ..

وتراجعت (مشيرة) ، وهي تصرخ ..

وتصرخ ..

وتصرخ ..

وعلى الرغم من آلام جسده ، هب (نور) واقفًا على قدميه ، وسحب مسدسه ، صارخًا في صرامة :

- إياك أن تمس شعرة واحدة منها أيها الوغد .

استدار إليه الثعبان الآدمي ، ووثب وثبته الطويلة المدهشة ، ليتجاوز فراش (أكرم) ، ويتجاوز طلقة الأشعة ، التي أطلقها (نور) نحوه ، ثم يهبط على مسافة متر واحد من هذا الأخير ، ليلطمه مرة أخرى بعنف أكبر ..

كانت لطمة عنيفة ومؤلمة للغاية ، انتزعت (نور)

من مكانه ، ودفعته بمنتهى العنف نحو فراش (أكرم) ، فاصطدم به ، ودفعه أمامه لمتر كامل ، قبل أن يختل توازنه ، ويسقط أرضًا ..

وبوثبة قوية أخرى ، بلغ ذلك الوحش الآدمى جسد (نور) ، وركل المسدس الليزرى من يده فى عنف ، فطار عبر الحجرة ، وارتطم بالجدار ، ثم سقط عند قدمى (مشيرة) ، التى شهقت بكل الرعب ، وتراجعت بحركة حادة ، وكأنها تخشى أن يمسها مسدس (نور) ..

وبحركة سريعة ، انحنى الثعبان الآدمى يجذب (نور) ، وهو يقول بصوته المخيف الشبيه بالفحيح :

ـ لقد قتلتم رفيقى .

قالها ، وأطلق زمجرته الفحيحية مرة أخرى ، وهو يلقى (نور) عبر الحجرة ، ليرتطم مرة أخرى بالجدار فى عنف ، ثم يسقط أرضًا ..

ولهث (نور) فى قوة ، مع الآلام التى سرت فى

كل مكان فى جسده ، فى حين تعالى صوت ضربات عنيفة ، على باب القسم ، وذلك الثعبان الآدمى يتجه نحو (نور) ، قائلاً فى مقت ، بصوته العجيب المخيف :

ـ لا تنتظر وصول أية نجدة .. لقد أغلقت الباب الأمنى المصفح ، بيننا وبين رجال الأمن .. لقد أتيت للقضاء عليكم جميعًا ، ولم أكن لأسمح بقدوم من ينقذكم من قبضتى .

نهض (نور) فى صعوبة ، وهو يقول :

ـ إنك لم تنتصر بعد أيها الوغد .

انقضَّ عليه الثعبان الآدمى مرة أخرى ، وهو يقول فى غضب ، بصوت فحيحى رهيب :

ـ إنها مسألة وقت فحسب .

لكمه (نور) بكل قوته ، صائحًا :

ـ لنا أم لك .

زمجر الثعبان الآدمى فى غضب ، وأطلق فحيحه الرهيب ، وهو ينتزع (نور) بقوة هائلة ، ويلقيه مرة أخرى عبر الحجرة ..

وسقط (نور) أرضًا فى عنف مؤلم ، وراح يلهث فى شدة ، والوحش الآدمى يتجه نحوه فى غضب ، قائلاً بذلك الصوت الفحيحى المخيف :

- قل لى أيها المصرى المتحذلق : هل ذقت طعم السم من قبل ، وهو يسرى فى عروقك ؟!

ثم جذب (نور) من عنقه ، مستطردًا فى غضب :

- استعد إذن .. ستتذوقه الآن .

وبكل غضبه ووحشيته ، فتح الثعبان الآدمى فكيه عن آخرهما ، وانتفخت نواجذه فى وضوح ، و ....

وانقض ..

بمنتهى العنف .

* * *



٧- الوحش الأخير ..

تنحنح الضخم فى توتر ، ومسح شعره الأشيب القصير براحته ، قبل أن يدق باب رئيسه ، ثم يقف ثابتًا ، كما تقتضى الأوامر ..

ولم تمض ثوان معدودة ، حتى انبعث من ثقب دقيق بالباب شعاع رفيع ، تحرك بسرعة على وجهه ، ثم توقف لحظة عند قزحية عينه ، قبل أن ينفتح الباب أمامه على مصراعيه ، فتنحنح مرة أخرى ، مغمغمًا فى عصبية :

- لن يمكننى استيعاب هذه الأمور قط .

كان يدلف إلى حجرة مكتب رئيسه ، عندما سمعه يقول فى صرامة :

- حاول أن تعتادها يا رجل ، فالدنيا من حولك تتطوّر ، وأنت تصرّ على التشبث بكل الوسائل القديمة .

رمق الضخم الأصلع بنظرة نارية ، وهو يتجه إلى رئيسه ، قائلاً :

ـ أعترف بأنني لا أشعر بالارتياح ، إلا مع الوسائل العريقة يا سيادة الرئيس .

مطّ الرئيس شفتيه ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا .

ثم مال على سطح مكتبه ، متابعًا في صرامة :

ـ لدى شكوى بخصوصك .

عاد الضخم يرمق الأصلع بنظرة نارية ، وهو يقول :

ـ أعرف من تقدّم بها .

نقل رئيسه بصره بينهما في صمت ، قبل أن يقول :

ـ وهل تعرف مضمونها أيضًا ؟!

أجابه الضخم في سرعة :

ـ بالتأكيد .

ورمق الأصلع بمقت ، مضيفًا :

ـ إنها تتعلّق بعملية (الجيل الخامس) .

سأله رئيسه في توتر :

ـ ألا تعتقد أنك قد تسرّعت كثيرًا في القيام بها ؟!

هزّ رأسه نفيًا في حزم ، وهو يجيب :

ـ مطلقًا .. المصريون كشفوا أمر الجيل الثالث ، ولم يعد من المجدى أن تخفى أمر الجيل الخامس .

وصمت لحظة ، ثم أضاف في صرامة :

ـ ثم إنه كان من المحتم أن نختبر ما لدينا .

تراجع رئيسه في مقعده ، قائلاً :

ـ أهذا في رأيك ، سبب كافٍ ؟!

كرّر الضخم ، في حزم شديد :

ـ بكل تأكيد .

ثم مال إلى الأمام ، على الرغم من كرشه الضخم ، وهو يقول في حماسة :

- (أمريكا) نفسها ، راعيتنا الأولى سابقًا ، فعلت هذا ، عندما أنتجت قنبلتها الذرية ، عام ١٩٤٥ ؛ فعلى الرغم من أن (ألمانيا) النازية كانت قد انهزمت بالفعل ، و(اليابان) على وشك الانهيار ، كان من المحتم أن تلقى قنبلة (هيروشيما) ؛ لتختبر قوتها فعليًا ، ثم كان من الضرورى بعدها أن تلقى قنبلة (ناجازاكى) أيضًا ، بعد ثلاثة أيام فحسب ؛ لأنها أنتجت نوعين من القنابل الذرية .. نوع انشطارى وآخر اندماجى ، ولابد أن تختبر تأثير كلتيهما ، على مدينتين متقاربتى المساحة وعدد السكان بالتحديد أيهما ينبغى مواصلة إنتاجه فى المستقبل(*)..

التقط رئيسه نفسًا عميقًا ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح .

قال الأصلع فى عصبية :

- ولكن هذا يضعنا فى موقف حرج ، أمام المصريين والعرب .

(*) حقيقة .. للأسف !

ابتسم الضخم فى سخرية ، قائلاً :

- المصريون ليسوا مثلنا .. إنهم كإخوانهم العرب ، يهتمون كثيرًا بتلك المبادئ والأعراف والقواعد السانجة .

عاد رئيسه يميل على سطح مكتبه ، قائلاً فى صرامة :

- لاحظ أن هذا ما جعلهم يربحون المعركة فى النهاية .

هزّ الضخم رأسه فى قوة ، وهو يقول :

- خطأ .. لقد ربحوا جولة فحسب .

هتف الأصلع مستنكرًا :

- أتسمى ما حدث مجرد جولة ؟!

هتف الضخم فى حدة :

- بالتأكيد .. العرب انتزعوا منا وطننا ، بعد أن بقينا فيه لأكثر من نصف قرن من الزمان ، وكما انتزعناه منهم فى السابق ، سننتزعه منهم مرة أخرى .

وصمت لحظة ، انعقد خلالها حاجباه فى صرامة ، قبل أن يضيف فى مقت :

- لو أحسنا العمل ، وتجاهلنا كل الحمقى ، الذين يسعون لتقليد العرب فى اهتمامهم بالتفاصيل السخيفة .

احتقن وجه الأصلع ، وهو يقول فى حدة :

- من تقصد بالحمقى ؟! هه .. من تقصد ؟!

تألقت عينا الضخم فى سخرية شامتة ، وهو يشيح بوجهه بعيدًا ، فى حين أخفى رئيسه ابتسامته فى صعوبة ، وهو يقول للأصلع :

- اهدأ يا رجل .. لا تجعل الأمور تشتعل .

هتف الأصلع :

- إنها مشتعلة بالفعل .

رمقه رئيسه بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد .

لهجته جعلت وجه الأصلع يحتقن أكثر ، وهو يهتف :

- سيدى ..

استوقفه رئيسه بإشارة صارمة من يده ، قبل أن يقول :

- لقد اتخذت قرارى فى هذا الشأن .

أدار الضخم عينيه إليه فى اهتمام ، فى حين ازدرد الأصلع لعابه فى توتر ، وتعلقت عيناه بشفتى رئيسه ، الذى صمت بضع لحظات ، ثم قال فى حزم صارم :

- سنواصل خطة إنتاج الجيل السادس .

تألقت عينا الضخم فى شدة ، ورمق الأصلع بنظرة شامتة متشفية ، وهذا الأخير يسأل بصوت مرتجف :

- وماذا عن عملية (الجيل الخامس) ؟!

أجابه رئيسه فى صرامة :

- فات وقت استعادتها ومنعها .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضرب سطح مكتبه براحته ، قائلاً :

- وسنمضى فيها أيضًا .

اتسعت عينا الأصلع فى ارتياع ، فى حين نهض الضخم فى هدوء ، ومدّ يده يصافح رئيسه ، قائلاً :

- كنت أعلم أنك ستضع مصلحة وطننا ، فوق كل اعتبار يا سيّدى .

صافحه رئيسه فى قوة ، وهو يقول :

- أتمنى أن تكون على حق ، بشأن المصريين .

ابتسم الضخم ابتسامة وحشية ، وألقى نظرة ساخرة على الأصلع ، قبل أن يجيب :

- اطمئن يا سيّدى .. إنهم لن يفعلوا شيئاً ، دون دليل مادى قوى .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

- ولن تمنحهم هذا الدليل .. أبداً .

التقط رئيسه نفساً عميقاً ، واتسعت ابتسامته عن آخرها ، وهو ينهض لمصافحته فى حرارة ، على نحو شحب له وجه الأصلع ، الذى تجمّد فى مكتبه ،

وعيناه تتابعان الضخم ، الذى بدا وكأنه قد ازداد ضخامة ، مع انتفاخ أوداجه زهواً ونصراً ، وهو يغادر المكان ، وعيناه تتألقان بكل وحشية الدنيا ، حتى لقد بدا ، فى عينى الأصلع ، أشبه بوحش حقيقى كسلفه ..

آخر وحوش سلالته الدموية ..

وأشرسها ..

على الإطلاق ..

* * *

« التقط يا (نور) .. »

صرخت (مشيرة) بالعبارة ، وهى تلقى إلى (نور) مسدسه الليزرى ، فى نفس اللحظة ، التى انقضّ فيها ذلك الوحش الآدمى عليه ، وهو يطلق فحيحه الرهيب ، وأنيابه الحادة تلتمع على نحو مخيف ..

مخيف ..

مخيف ..



وعلى الرغم من مقتـه لكل أشكال العنف ، ضغط زناد مسدسه الليزرى بكل قوته .. وانطلقت الأشعة مرة ..

وعلى الرغم من موقفه ، مال (نور) بجسده فى مرونة مدهشة ، والتقط مسدسه فى مهارة ، وهو يهتف :

ـ تحدثت كثيرًا أيها الوغد .

ثم أدار فوهة مسدسه إلى وجه الوحش الآدمى مباشرة ، مستطردًا :

ـ وخسرت كل شىء .

فوجئ الثعبان الآدمى بفوهة مسدس (نور) أمام وجهه ، فكشر عن أنيابه ، وأطلق ذلك المزيج من الفحيح والزمجرة ، و ....

ولم يتردد (نور) لحظة واحدة ..

وعلى الرغم من مقته لكل أشكال العنف ، ضغط زناد مسدسه الليزرى بكل قوته ..

وانطلقت الأشعة مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

فى وجه الوحش ..

وصرخت (مشيرة) في رعب ، عندما رأت الأشعة تنسف رأس الوحش ووجهه ، والدماء تتفجّر في وجه (نور) ، وتتناثر على ثيابه ، قبل أن يتراخى جسد الثعبان الآدمي ، ويفلت (نور) من بين يديه ، قبل أن ينهار أرضًا جثة هامدة ..

بلا رأس ..

ومع المشهد البشع ، لم تتوقّف صرخات (مشيرة) ..

لم تتوقّف لحظة واحدة ، حتى أمسك (نور) كتفيها في قوة ، هاتفًا :

– اهدئي يا (مشيرة) .. لقد انتهى كل شيء .

في نفس اللحظة ، حطّم رجال أمن المستشفى ذلك الحاجز الفولاذي ، الذي يغلق باب قسم الطوارئ ، واندفعوا إلى المكان بأسلحتهم ، وبينهم (سلوى) و(نشوى) ، والأولى تهتف في ارتياع :

– ماذا حدث يا (نور) ؟!

أشار (نور) إلى جثة الثعبان الآدمي ، مجيبًا :

– إنه واحد آخر .

حدّق الكل في الجثة بدون رأس ، قبل أن تهتف (نشوى) :

– واحد آخر ؟! رباه ! كم واحد منهم هنا .

هزّ (نور) رأسه في قوة ، قائلاً :

– ومن يدري !!

والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يلتفت إلى مدير الأمن ، هاتفًا في غضب :

– من الواضح أنه لديك هنا ثغرة ضخمة ، في نظم الأمن بالمستشفى ، على الرغم من أنه مستشفى عسكري .

لم يحاول الرجل الدفاع عن نفسه ، وهو يقول في مرارة :

– أعلم هذا ، ولقد طلبت بعض الخبراء ، لتأمين المكان على نحو مختلف .

سأله (نور) في صرامة :

- أي نوع من الخبراء ؟!

أجابه في سرعة :

- خبراء من عندكم .

ثم خفض عينيه ، مستطردًا في مرارة :

- من المخابرات العلمية .

اعتدل (نور) ، وهو يغمغم :

- هذا أفضل .

سألته (تشوى) في ذعر :

- أبي .. هل تتوقّع وجود آخرين ؟!

وقبل أن يجيب (نور) ، هتفت (مشيرة) ، في انفعال جارف :

- آخرون ؟! ماذا تعنون بالضبط ؟! أنحن بصدد مواجهة جيش من هذه الأشياء ؟!

التفت إليها (نور) ، قائلاً في صرامة :

- (مشيرة) .. هذا الأمر سري للغاية ، و ....

قاطعته ، صارخة :

- سري ؟! هل تعتقد أنه سيظلّ سريًا لفترة طويلة ؟! لقد واجهنا وحشين في ليلة واحدة ، وأحدهما كاد يقتل (أكرم) في غيبوبته ، وكاد يقتلك أيضًا منذ دقائق ، وتتحدث عن السرية ؟!

قال بكل صرامته :

- لو أنك أطبقت شفتيك ، فسيظلّ سرًا .

قالت في حدة :

- وماذا لو تحديت كل هذا ، وأذعت التفاصيل كلها ؟!

أجابها على الفور :

- سيتم تكذيب كل شيء رسميًا ، وربما تلقيت اتهامًا بالكذب والغش ، ومحاولة إثارة الذعر العام دون مبرر .

ثم رفع سبابته في صرامة ، مضيفًا :

- وتذكري أنه ليس لديك دليل مادي واحد ، على

ما حدث هنا ، ففى الحالتين تم نسف رأس الوحش ، والتقارير الخاصة بفحصه لا يمكن نشرها ، باعتبارها تقارير أمنية خاصة .

قالت فى حدة :

- وماذا عما رأيته بنفسى ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- أنت تعلمين أن شهادتك لا تجوز ، باعتبارك أحد أطراف المشكلة ، فى خلاف صحفى .

شعرت بالعجز والمرارة ، وهى تشير إلى رجال الأمن ، قائلة :

- وماذا عن هؤلاء الشهود ؟!

رفع حاجبيه بدهشة مصطنعة ، وهو يقول :

- أى شهود ؟!

ثم التفت إلى رجال الأمن ، وسألهم فى هدوء ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره :

- هل رأى أحدكم شيئاً ؟!

ابتسم مدير الأمن ، وهو يجيب :

- مطلقاً .

احتقن وجهها ، وراحت تلوّح بيدها بضع لحظات فى غضب ، دون أن تنجح الكلمات فى تجاوز تلك الغصة فى حلقها ، قبل أن تهتف فجأة ، بصوت مختنق مبحوح :

- من حق الناس أن تعرف كل الحقائق .

هزّ رأسه ، قائلاً :

- ليس إذا ما أثارت فزعهم ورعبهم دون مبرر .

شعرت بساقيها تعجزان عن حملها ، فتركت جسدها يسقط على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول بصوت أقرب إلى البكاء :

- هذا ظلم .

تبادل (نور) و(سلوى) و(نشوى) نظرة مشفقة ، قبل أن يتمتم الأوّل فى خفوت :

- أمن (مصر) فوق كل شىء يا (مشيرة) .

حدقت فى وجهه لحظة ، ثم أسرعت تدفن وجهها بين كفيها ، وتجهش فى بكاء حار عنيف ، فهمست (سلوى) :

- لقد قسوت عليها كثيرًا هذه المرة يا (نور) .

هزّ رأسه فى بطء ، قائلاً :

- ليس أنا يا (سلوى) .. إنها تفرغ انفعالات مواجهتها العنيفة ، مع ذلك الوحش الآدمى .

وتمتمت (نشوى) :

- هذا صحيح .

ولكن (سلوى) تطلّعت إلى (مشيرة) بضع لحظات أخرى ، فى تعاطف مشفق ، قبل أن تتجه إليها ، وتحتويها بين ذراعيها ، وتربّت عليها ، قائلة فى حنان :

- لابأس يا (مشيرة) .. لابأس .. أفرغى كل مشاعرك وانفعالاتك ، فهذا كل ما نملكه ، فى موقف كهذا .
أجهشت (مشيرة) بالبكاء أكثر ، وهى تقول :

- هل سيعود إلىّ سالمًا يا (سلوى) ؟!

أجابتها فى حنان :

- الأطباء أكدّوا أنها مسألة وقت فحسب .

هتفت من وسط دموعها :

- يارب .

ثم رفعت عينيها المغرورقتين بالدموع إلى (سلوى)، مستطردة فى لوعة :

- لا يمكننى أن أتخيّل الحياة بدونه .. إننى أحبه يا (سلوى) .. أحبه بكل مشاعرى وكيانى .

ابتسمت (سلوى) ، قائلة :

- ليته يسمع هذا من بين شفتيك .

بكت (مشيرة) فى حرارة أكثر ، هاتفة :

- فليعد إلىّ ، وأقسم بأن أمنحه كل حبى وحنانى ، ما بقى لى من العمر .

غمغمت (نشوى) :

- يخيّل إلىّ أننى قد سمعت هذا الحديث من قبل .

لكزها (نور) بمرفقه فى رفق ، هامسًا :

ـ احتفظى بهذا لنفسك إذن .

مع آخر حروف كلماته ، وصل فريق خبراء الأمن ، وراح رجاله ينتشرون فى كل مكان ، ويراجعون كل شيء بمنتهى الدقة ، فاتجه مدير الأمن إلى (نور) ، قائلاً :

ـ لقد بذلتم جميعًا جهدًا خارقًا ، خلال الساعات الماضية أيها المقدّم ولقد أشرقت الشمس بالفعل ، وأعتقد أنكم جميعًا بحاجة إلى قدر من الراحة .

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فتابع فى حزم وحماسة :

ـ رجالكم يتولون الأمر الآن ، ورجالى مستعدون لبذل حياتهم نفسها ، لو اقتضى الأمر ، لحماية رفيقيكما .

وافقته (سلوى) بإيماءة من رأسها وربتت على ظهر (مشيرة) فى حنان ، وهى تقول :

ـ هيا بنا يا (مشيرة) .. (أكرم) فى أيد أمينة الآن ، وكلنا بحاجة إلى الراحة ، وبدونها لن يمكننا حتى مواصلة العناية بهم .

تساءلت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ وماذا لو أنه هناك ثالث ؟!

انعقد حاجبا (نور) مع عبارتها ، فى حين هتفت (نشوى) فى حماسة :

ـ سيكون من سوء حظه أن يواجه رجالنا .

لم يعلّق (نور) على عبارتها ، فى حين قالت (سلوى) فى حنان جارف :

ـ هل سمعت ما قالته (نشوى) ؟! هيا يا (مشيرة) .. لن يمكنك إفادته ، إذا ما انهرت من فرط التعب .

ألقت (مشيرة) نظرة قلقة على (أكرم) ، ثم لم تلبث أن زفرت ، متمتمة :

ـ أنت على حق .

غادر أربعتهم المكان فى سيارة (نور) ، ومدير الأمن يشير إليهم فى حزم ، وهو يقول :

ـ استرخوا جيدًا ، خلال الساعات القادمة ، فقد انتهى الخطر .

لم يدر وهو ينطقها ، أن الخطر لم ينته بعد ..

وأن الخطر الحقيقى ينتظرهم هناك ..

خلف الأبواب المغلقة ..

* * *

مرة أخرى ، راح جسد (أكرم) يسبح ، فى ذلك الفراغ اللانهائى ..

كان جسده وعقله يشعران باسترخاء تام ، وهو يسبح فى نعومة متناهية ، جعلته يغلق عينيه ، ويرخى كل عضلات جسده ، فى استمتاع مدهش ..

« إذن فقد فقدت وعيك مرة أخرى يا (أكرم) .. »

فتح عينيه فى هدوء ، وابتسم وهو يتطلع إلى (محمود) ، قائلا :

ـ أهلاً .

ثم التقط نفسًا منتشيًا عميقًا ، قبل أن يضيف بابتسامة كبيرة :

ـ قل لى يا (محمود) : لماذا يصبح الالتقاء بك سهلا ، عندما أسقط فى غيبوبة عميقة .

ابتسم (محمود) بدوره ، قائلاً :

ـ ربما لأن هذا يأتى بك إلى عالمى .

سأله فى اهتمام :

ـ وما هو عالمك ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، قبل أن يجيب فى هدوء ، حمل رنة من الحزن :

ـ ربما لايمكنك استيعاب ما سأقول ، ولكن العالم ، الذى أحيا فيه الآن ، هو عالم من الطاقة الصافية ، بلا أية حدود مكانية أو زمنية .. عالم يسوده الهدوء والاسترخاء .. والصمت .

غمغم (أكرم) فى قلق :

ـ أخشى أن هذا أشبه بالموت .

ضحك (محمود) ، قائلاً :

ـ ومن منا شاهد الموت ، حتى يمكنه أن يصفه أو يقارنه يا صديقى ؟!

أجابه (أكرم) فى سخرية :

- بعضهم يدعى الاقتراب من الموت ، والبعض الآخر يوهم الحمقى بقدرته على تحضير الأرواح .

هز (محمود) كتفيه ، وقال :

- ليست لدى أية معلومات عن هذا أو ذاك ، ولست أدرى حتى كيف يبدو الموت ، ولكنه ليس كذلك حتمًا .

سأله (أكرم) فى تردد :

- وما الذى يجعلك واثقًا هكذا ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، شرد ببصره خلالها ، وارتسمت على ملامحه لمحة من الحزن ، قبل أن يعيد عينيه إلى (أكرم) ، قائلاً :

- لأننى أشعر هنا بالملل .

ردد (أكرم) فى دهشة حذرة :

- الملل ؟!

أجابه ، وقد طغى حزنه على ملامحه :

- نعم يا صديقى ، ملل رهيب سخيف ، بلا حدود ، وبلا أمل فى النجاة .. إننى وحدى هنا ، وسط فراغ لا محدود .. وزمن لا يمضى أبدًا .. بلا صديق ، أو رفيق ، أو أنيس أو ونيس .. لا أحد ، ولا شىء تفعله ، أو تقوله ، أو تفكر فيه .

تمتم (أكرم) ، وقد شعر نحوه بإشفاق لا محدود :

- يا إلهى !

تابع (محمود) ، وكأنه لم يسمعه :

- هذا ليس الموت حتمًا ، فالموتى لا يشعرون بالملل ، ولا يبقون وحدهم طوال الوقت .. سيكون هناك موتى آخرون على الأقل .. أى شخص يمكن أن تتحدث إليه .

سأله (أكرم) ، فى إشفاق أكثر :

- ولماذا لا تفعل نفس ما فعلته معى ؟! لماذا لا تحضر الآخرين إلى عالمك .. فى أثناء نومهم أو غيبوبتهم مثلاً ؟!

ابتسم (محمود) ، والتقط نفسًا عميقًا ، وهـو يقول :

ـ أنت لست هنا يا صديقي .

حدّق فيه (أكرم) في دهشة ، قبل أن يهتف في استنكار :

ـ لست هنـا ؟! ماذا تعني بالضبط ؟! إنني هنا يا (محمود) .. أمامك .. أراك وتراني .

هزّ (محمود) رأسه ، قائلاً :

ـ بعقلك فقط يا صديقي ، وليس بجسدك .

هتف (أكرم) ، وهو يرفع كفيه أمام وجهه بكل الدهشة :

ـ مستحيل !

أجابه (محمود) في هدوء :

ـ كل ما تراه مجرّد صورة وهمية ، يصنعها عقلك في أثناء غيبوبته .. صورة ترى فيها كل ما سجله

عقلك ، عندما كنت هنا فعليًا بجسدك ، وكل ما يحدث الآن هو أنني أستغل حالة الاسترخاء التام ، التي يمرّ بها جسدك ، والتي تخفض جهد عقلك إلى الحد الأدنى ، لأتم هذا الاتصال معه ، على نحو يبدو لك أشبه بالواقع .

كرّر (أكرم) مرة أخرى :

ـ مستحيل !

أومأ (محمود) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ صدقني يا صديقي .. ما أخبرك به هو الحقيقة المحضة ، خذها من رجل اعتاد الوحدة طويلاً ، حتى إن عقله لم يعد قادرًا حتى على خلق ذلك الوهم في أعماقه ، كما يفعل عقلك معك الآن .

تطلّع إليه (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

ـ (محمود) .. إذا ما قدر لي أن أعود إلى عالمي .. أعني إلى حالة الوعي ، فأقسم ألا يكون لي من هدف في الحياة ، سوى السعي لاستعادتك .. وبأي ثمن .

ارتفع حاجبا (محمود) فى تأثر ، وهو يقول :

- ليست لدى ذرة واحدة من الشك ، فى أنك ستفعلها يا صديقى .

ثم هبط حاجباه لينعقدا فى حزم ، مع استطرادته :

- ولكن هذه ليست قضيتنا الآن .

ومال نحوه ، مضيفًا فى توتر :

- هل نسيت ما سيجده (نور) ، خلف باب منزله ؟!

اتسعت عينا (أكرم) فى رعب ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! كيف نسيت هذا ؟! كيف ؟!

ثم أمسك كتفى (محمود) ، صائحًا فى ارتياع :

- ماذا ينبغى أن نفعل يا (محمود) ؟! كيف يمكننا أن نمنع هذا المصير البشع عن (نور) والرفاق و(مشيرة) ؟! كيف يا (محمود) ؟! كيف ؟!

وازداد انعقاد حاجبى (محمود) ، والسؤال يلتهب فى ذهنه ، كحمم ألف ألف بركان ..

نعم .. كيف يمكن منع ذلك المصير البشع ؟!

كيف ؟!

* * *

« الخطر خلف الأبواب المغلقة .. »

« الأنياب .. »

راحت الكلمات تتردد فى ذهن (نور) ، وهو يقود سيارته ، عائدًا إلى منزله ، وعقله يحاول ترتيب كل المعطيات ؛ لمعرفة سر ذلك التوتر ، الذى مازال يسرى فى أعماقه طوال الوقت ..

نبوءة (أكرم) كانت صادقة تمامًا ..

(نشوى) وجدت الخطر والأنياب القاتلة ، خلف باب حجرة (رمزى) المغلقة ..

أهذا ما كان يقصده (أكرم) ؟!

لماذا استخدم الآن صيغة الجمع ، وليس صيغة المفرد ؟!

لماذا الأبواب ، وليس الباب ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

في نفس الوقت ، الذي التهب فيه عقله بالتساؤلات ، كانت (سلوى) تتثاءب في إرهاق ، قائلة :

- سنترك الصغيرين عند مربيتهما اليوم ، وسنذهب كلنا إلى منزلي ، فالأفضل أن نكون إلى جوار بعضنا ، حتى نطمئن إلى أن كل شيء على ما يرام .. أليس كذلك يا (نور) ؟!

لم يبد حتى إنه قد سمعها ، فربتت على كتفه ، متسائلة في قلق :

- (نور) .. أين أنت ؟!

انتبه لمستها ، فاستدار إليها ، وهو يحاول الابتسام في صعوبة ، مغمغمًا :

- لا شيء .. إنني مرهق فحسب .

أسبلت (مشيرة) جفنيها ، مغمغمة :

- هذا شأننا جميعًا .

وتنهدت في عمق ، قبل أن تفتح عينيها مرة أخرى ، متسائلة :

- أتعتقد أنه مازال هناك آخرون يا (نور) ؟!

انعقد حاجباه في شدة ، وهو يجيب :

- من يدري ؟!

هتفت (نشوى) :

- يا إلهي ! وكيف يمكن أن يغمض لي جفن ، وأنا أعلم أنه مازال هناك أحدهم ، على قيد الحياة ؟!

قالت (سلوى) مبتسمة :

- التعب سيجبرك على هذا .

مالت (مشيرة) نحوها ، تسألها :

- ألا تثقين بنظام الأمن ، في منزل والدك ؟!

التقى حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لا يوجد نظام أمنى يستحيل اختراقه .. إنها لعبة تكنولوجيا ، وكما يمكن أن تصنعها عقول عبقرية ، يمكن أن تهزمها أيضًا عقول عبقرية أخرى .

تراجعت (مشيرة) مرة أخرى فى مقعدها ، مغمغمة فى توتر :

ـ ياله من جواب !

ثم أطلقت زفرة ملتهبة ، من أعمق أعماق صدرها ، قبل أن تتابع :

ـ كيف تتصورين أننى سأشعر بالارتياح ، بعد جوابك هذا ؟!

ابتسمت (نشوى) ، قائلة :

ـ إنه جواب واقعى .. ولا تنسى أننى قد صنعت نظام الأمن هذا بنفسى .

هتفت (مشيرة) :

ـ أمن المفترض أن ..

قاطعها (نور) ، وهو يقول :

ـ لقد وصلنا .

شىء ما فى أعماقه بدأ يشعر بقلق أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعندما أوقف سيارته ، أمام حديقة المنزل ، كان قلقه قد بلغ ذروته ..

ولكن أحدًا لم يشعر بقلقه هذا ، وثلاثتهن تغادرن السيارة ، وتتجهن نحو المنزل ، و(نشوى) تغمغم :

ـ أظننى سألقى جسدى على فراشى ، ولن أشعر بنفسى قبل صباح الغد .

فتحت (مشيرة) عينيها فى صعوبة ، وهى تقول فى إرهاق :

ـ ولكننى أريد الاستيقاظ بعد ساعتين أو ثلاث على الأكثر ؛ لأطمئن على (أكرم) .

أخرجت (سلوى) بطاقتها الممغنطة ، ودستها فى التجويف الخاص ، فى رتاج الباب ، وهى تقول :

- أراهنك على أن (أكرم) نفسه سيستيقظ بعد هذا .

وفى نفس اللحظة ، التى أضىء فيها مصباح الرتاج الأخضر ، اندفع ذلك الثعبان الآدمى الأخير من مكمنه ، وكشّر عن أنيابه الحادة ، وهو يكتم فحيحه الغاضب فى أعماقه ..

كان عقله المتطوّر قد التقط ما أصاب رفيقيه ، فامتلأت نفسه بالغضب ، وتفجرت فى أعماقه رغبة مجنونة فى الانتقام ، جعلته يتحفز بكل وحشيته وقوته ، خلف باب المنزل ، الذى دفعته (سلوى) فى بساطة ، و ....

وحانت لحظة المواجهة ..

القاتلة ..

* * *

٨ - الختام ..

لسبب ما ، خفق قلب (نور) فى عنف ، عندما دفعت (سلوى) باب المنزل ..

ومن أعمق أعماقه ، تصاعد ذلك القلق العنيف مرة أخرى ..

تصاعد قويًا ، جارفًا ، ليكتسح أمامه كل المشاعر الأخرى بلا استثناء .

ودون أن يدرى ، وبرد فعل غريزى محض ، زاد من سرعته ، ليلحق بزوجته ، قبل أن تفتح باب المنزل ، و ...

وفجأة ، التقطت عيناه كل شىء ..

آثار أقدام رجل البريد ..

وخلفها آثار أقدام أخرى ..

وكلتاهما تتحرك فى اتجاه واحد فقط ..

نحو المنزل ..

ولا توجد أية آثار ، فى الاتجاه المضاد ، عبر الحديقة كلها ..

ولم يكن لهذا سوى معنى واحد ..

معنى لا يقبل الجدل ..

أو الشك ..

وبكل قوته وانفعاله ، اندفع نحو زوجته ، صائحًا :

ـ لا يا (سلوى) .

صيحته أصابت ثلاثتهن بالفزع ، فتراجعن بحركة حادة ، فى نفس اللحظة التى استل هو فيها مسدسه ، ووثب وثبة مدهشة ، أزاح بها (سلوى) عن الباب ، وهو يرفع فوهة مسدسه ، ويطلق أشعته نحو الباب مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ومع صرخات (سلوى) و(نشوى) و(مشيرة) ، اخترقت حزم الأشعة الباب الضخم ، الذى انبعث من خلفه فحيح غاضب قوى ..

وبمنتهى العنف ، اقتلع الثعبان الآدمى الأخير باب منزل (نور) ، وألقاه جانبًا ، ثم اندفع إلى الخارج ، والدماء تنزف من صدره وذراعه وبطنه ..

وصرخت النساء الثلاث ، بكل رعب الدنيا ، وهن يتراجعن فى تخبط وارتباك وفوضى ..

ولكن (نور) صوّب مسدسه مرة أخرى ، صائحًا فى صرامة :

ـ إنها الجولة الأخيرة أيها الوغد .

ومع صيحته ، عاد يضغط زناد مسدسه الليزرى ..

ويضغطه ..

ويضغطه ..

وفى هذه المرة ، اخترقت طلقاته عنق الثعبان الآدمى الأخير ، ورأسه ، وصدره ..

وأطلق الوحش الأخير فحيحًا عاليًا قويًا ، جمع ما بين الألم والغضب والشراسة والثورة ..

وعلى الرغم من إصاباته كلها ، واصل تقدّمه نحو (نور) فى صعوبة ، فأدار هذا الأخير مؤشّر مسدسه

الليزرى ، ليرفع طاقته إلى الحد الأقصى ، قبل أن يصوِّبه إلى الوحش الآدمى فى إحكام ، مغمغمًا :

ـ الآن تذكَّرت أنك نصف ثعبان يا هذا ، والوسيلة الوحيدة ، للقضاء على الثعابين ، هى نسف رءوسها .

وضغط زناد المسدس ، مضيفًا بكل صرامة الدنيا :

ـ تمامًا .

ومن فوهة مسدسه الليزرى ، انطلقت حزمة ضخمة من الليزر ، حملت أكبر قدر يمكن لبطاريته الذرية إنتاجه ، واتجهت نحو الثعبان الآدمى الأخير ..

نحو رأسه ..

مباشرة ..

وأطلق الوحش الآدمى فحيحًا قويًا عنيفًا ..

واخترقت حزم الليزر القوية فكيه المفتوحين ..

وسحقت أنيابه الحادة الطويلة سحقًا ..

ثم نسفت رأسه نسفًا ..

بمنتهى العنف ..

وصرخت (سلوى) فى رعب هائل ، عندما تناثرت الدماء على وجهها وثيابها ، وشهقت (نشوى) ، وهى تتراجع فى ارتياع ، فى حين راحت (مشيرة) تصرخ وتصرخ ..

أما (نور) ، فقد اعتدل فى وقفة عسكرية قوية ، وهو يخفض فوهة مسدسه الليزرى فى بطء ، وعيناه مثبتتان على جثة الثعبان الآدمى ، الملقى فى الحديقة ، وسط بركة من الدماء ..

وعلى الرغم من بشاعة الموقف ، ومن الصرخات التى تدوى من حوله ، راوده شعور قوى بالارتياح ..

شعور لم يدر لماذا ملأ كيانه ، واستقرّ فى وجدانه ، على نحو لم يجد له أى تفسير منطقى !

فالأمر لم ينته بعد ...

والثعابين ، الذين أنتجوا هذه الوحوش ، مازالوا يسعون لإنتاج جيل سادس ..

وسابع ..

وثامن ..

ولـن تتوقّـف محـاولاتهم الشـريرة ، وخططهـم ومخططاتهم الوحشية ، للقضـاء علينا وإزاحتنا عـن طريقهم ..

لن تتوقّف أبدًا ..

والسبيل الوحيد لنحر كل مخططاتهم ، هو أن نظلّ جميعًـا يقظيـن ، متـأهبين ، متمسـكين بعقيدتنـا ، ومبادئنا ، وديننا ..

وسلاحنا أيضًا ..

وأن نتعامل كلنـا كرجل واحد ، لـه عقل واحـد ، وقبضةً واحدةً ..

بهذا وحده ، يمكننا أن نصمد ..

وأن نهزم الثعابين ..

كل الثعابين ..

* * *

(تمت بحمد الله)

أنياب

- ما مصير (نور) و (رمزى)، عندما يواجهان الثعابين نصف البشرية.. فى الأعماق ؟!
- هل يتجاوز (أكرم) محنة نهر الزمن، أم يبقى هناك إلى أبد الآبدين ؟!
- تُرى لمن يكون النصر فى الجولة الأخيرة ؟!

وهل تتساقط للمنتصر (أنياب) ؟!

- اقرأ التفاصيل المثيرة.. وقاتل مع (نور) وفريقه.. من أجل الأرض..



العدد القادم



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

142

